



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مسار تاريخ عام



مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر الموسومة بـ:

السياسة التعليمية الفرنسية في الصحراء الجزائرية

1880-1914م

إشراف الأستاذ:

بن حادة مصطفى

إعداد الطالبتين:

■ بوشوشة فايزة

■ بن عجينة فاطمة

أعضاء لجنة المناقشة:

1. د. بوسلامة محمد

2. أ. بن حادة مصطفى

3. د. كركب عبد الحق

رئيسا

مشرفا

مناقشا

السنة الجامعية: 1440-1441هـ / 2019-2020م

شكر و عرفان:

"الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير".

أولاً وقبل كل شيء نشكر الله تعالى على توفيقه لنا لإتمام هذا العمل، كما نتقدم بجزيل الشكر وأسعى عبارات التقدير للأستاذ المشرف "بن حادة مصطفى" جزاه الله خيراً الذي أرهقناه طيلة مدة إنجازنا للعمل والذي لم يبخل علينا بنصائحه ومعلوماته القيمة. كما نتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من ساعدنا وأمد لنا يد العون من قريب أو من بعيد وأخص بالذكر الأستاذ "حفصة عيسى" أستاذنا في الثانوي وموطننا في التبرص الذي كان لنا القدوة في رسم خطانا على أثر خطاه. كما نتقدم بالشكر الجزيل لكل من علمنا حرفاً من الطور الإبتدائي إلى الطور الجامعي. إلى كل هؤلاء ألف شكر.

" اللهم نسألك علماً نافعاً، قلباً و خاشعاً، و عملاً متقبلاً "

إهداء

باسم الله و الصلاة السلام على رسول الله أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

من جعل الله الجنة تحت أقدامها والتي علمتني الجهاد لنيل المعالي، إلى من سقتني من ينبوع حيا وحنانها " أمي " وإلى " أبي " الغالي و سندي في الحياة أهدي ثمرة جهدي و تعبي تقديرا لهما.

و إلى أخي العزيز " بن عودة " وأخواتي العزيزات " نعيمة " " كريمة " وإلى كل عائلة بوشوشة و حسيني.

و إلى من شاركتني هذا الجهد صديقتي " فاطمة ".

و إلى أخواتي و صديقاتي : سعاد، هجيرة، إبتسام، عائشة، ليلى، نادية، فاطيمة.

إلى روح صديقتي " إسمهان " رحمها الله و أسكنها فسيح جنانه.

إلى كل من علمني وأخذ بيدي وأنار لي طريق العلم و المعرفة إلى كل من سقط من قلبي سهواً إلى كل من في القلب ولم يكتبهم القلم أهدي ثمرة عملي هذا.

فايزة

إهداء

الحمد لله الذي أعاننا بالعلم وجعله سراجاً منيراً نقتدي به في ظلمات الجهل ونشكره
تعالى الذي أكرمنا بالتقوى وأجملنا بالعافية.

أهدي ثمرة جهدي هذا:

قدوتي في الحياة من علمي مكارم الأخلاق والدي الغالي "عبد القادر" وإلى بستان الصفاء
وينبوع الحنان إلى التي أنارت شمعة كل خطوة من خطواتي وهبتني أعلى ما تملك في سبيل
نجاحي والتي تعجز الكلمات عن وصفها أُمِّي الغالية "زهرة" حفظها الله.

إلى إخوتي أحمد عبد الله جلول محمد وفتيحة فوزية زاهية عائشة

إلى زميلتي في العمل وصديقتي بوشوشة فايذة

وإلى أعز الناس على قلبي صديقتي: ليلى هجيرة سعاد إبتسام هجيرة نادية

وإلى روح صديقتي "إسمهان" رحمها الله

وإلى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد ولو بكلمة وكل من ساهم معنا في تذليل
ما واجهتنا من صعوبات.

فاطمة

قائمة المختصرات:

1- بالعربية:

الأصل	المختصرات
الجزء	ج
الطبعة	ط
العدد	ع
الترجمة	تر
التقديم	تق
الصفحة	ص
ميلاد	م
هجري	هـ
دون دار النشر	د د
دون تاريخ	د ت
دون بلد النشر	د ب
دون طبعة	د ط
عدد الصفحات	ص ص

1- الفرنسية:

الأصل	المختصرات
Numero	N
Page	P
Au même en droit	Ibid
Ouvrage Précédemment Citée	Opcit
Des Pages	PP

مقدمة

إن الغزو الثقافي كما هو معلوم لا يقل خطورة عن الغزو العسكري، ولهذا إتخذ الفرنسيون التعليم وسيلة لتحقيق أهدافهم المتمثلة في القضاء على المقومات الحضارية للجزائريين وبالتالي تسهل عليهم السيطرة الكاملة على أرضهم وإمكانياتهم المادية.

ومنذ إحتلال الجزائر والإستعمار الفرنسي يمارس سياسة التجهيل والعمل على تشويه الشخصية الجزائرية، معتمدا على عرقلة تعليم اللغة العربية التي هي لغة الآباء والأجداد وقد عمدت إدارة الإحتلال إلى شن حرب ضد العلم والتعليم في الجزائر منذ بداية إحتلالها لأرض الجزائر، وعملوا على إحلال التاريخ الفرنسي محل التاريخ الجزائري، وكذلك القضاء على المساجد والزوايا.

كما أن سياسة التجهيل والتنصير التي إتبعها فرنسا في الجزائر لم تكتفي في الشمال فقط فقد رامت خيوطها إلى الصحراء الجزائرية، التي أرادت السيطرة عليها لتتمكن بذلك من السيطرة على الجزائر بكاملها.

وبندرج عنوان مذكرتنا: السياسة التعليمية الفرنسية في الصحراء الجزائرية ما بين 1880-1914.

أسباب إختيار الموضوع:

دفعتنا جملة من الأسباب والدوافع لإختيار هذا الموضوع بالذات دون غيره كمحور لبحثنا لعل من أبرزها:

- عدم وجود دراسات كثيرة ووافية ومعقدة ودقيقة حول هذا الجانب أو الموضوع، حيث نجد هذه الدراسات على شكل عموميات.

- كذلك إبراز السياسة التعليمية الفرنسية في الصحراء الجزائرية من خلال المناهج والطرق لمحاربة التعليم الجزائري التقليدي وكذلك نزع الهوية والشخصية الوطنية وغرس الفكر الغربي المسيحي من خلال التعليم التصيري.
- كذلك لم يكن وليد الصدفة بقدر ما هو محاولة للكشف عن مظاهر الإستعمار.

أهداف الدراسة:

- تهدف هذه الدراسة إلى معالجة مسألة هامة متمثلة في التاريخ الثقافي للجزائر من خلال فترة الإستعمار الفرنسي.
- إبراز دور الإستعمار الفرنسي في القضاء على الهوية الوطنية بشتى الطرق والوسائل وإيضاح وضعية التعليم الفرنسي بالصحراء.

إشكالية الدراسة:

ومن خلال ما تم ذكره نصل في هذا الموضوع السياسة التعليمية الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1880-1914م، والتي إعتمدت على تغيير ثقافة الشعب فيها، ومنه يمكن طرح الإشكال التالي: ما حقيقة السياسة التعليمية الفرنسية في الصحراء الجزائرية أثناء مرحلة الإحتلال؟، وضمن هذه الإشكالية العامة تتدرج تحتها مجموعة من التساؤلات منها:

- ما هي أهداف هذه السياسة؟، وكيف تحول التعليم في الصحراء إبان الحقبة الإستعمارية؟
- ما نوعية التعليم الذي قدمته فرنسا لسكان الجنوب؟
- كيف كان رد فعل سكان الجنوب على هذه السياسة؟

وقد وضعت خطتنا كالتالي:

أولا المقدمة وجاء بعدها مدخل حيث عنوانه بواقع التعليم الفرنسي بالجزائر قبل 1880، حيث تناولنا فيه لمحة عن الإطار الجغرافي والبشري عن الجنوب الجزائري، وبداية الإهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية ووضعية التعليم في الجزائر ما بين 1830-1880، ومقدمة تطرقنا فيها إلى التعريف بالموضوع وإهتماماتنا حوله ثم الدوافع ثم أسباب إختيارنا للموضوع ثم أهداف الدراسة ثم تطرقنا إلى الإشكالية ثم إلى خطة البحث والمنهج المتبع ثم تقييم المراجع المستعملة أخيرا الصعوبات التي واجهتنا، وقد قسمنا موضوع بحثنا إلى ثلاثة فصول فعنواننا الفصل الأول بالسياسة التعليمية في الصحراء الجزائرية 1880-1914، ضم مفهوم السياسة التعليمية الفرنسية والتعليم العربي الإسلامي في الصحراء الجزائرية، ثم التعليم الفرنسي في الجنوب ثم أهداف السياسة التعليمية الفرنسية بالجزائر، أما الفصل الثاني فخصصناه للتعليم التنصيري في الصحراء الجزائرية ضم مدخل مفاهيمي للتنصير والتبشير ثم وضعية التعليم التنصيري في الصحراء ثم المؤسسة التنصيرية في واد ميزاب، ثم التعليم التنصيري في الهقار (دي فوكو نموذجاً)، وفي الفصل الثالث تطرقنا إلى نتائج وإنعكاسات السياسة التعليمية الفرنسية على الجزائريين ضم أولا النتائج ثم الإنعكاسات بالسلب والإيجاب وأخيرا ردود الفعل على النشاط التنصيري في الجنوب، وختمنا هذا البحث بخاتمة إحتوت أهم النتائج المتوصل إليها ومجموعة من الملاحق وقائمة المصادر والمراجع ووضعنا فهرس للمحتويات.

المنهج المتبع:

أما المنهج الذي إعتدنا عليه لدراسة هذا الموضوع هو المنهج التاريخي التحليلي، حيث إعتدنا في صياغة هذا البحث على التحليل وشرح المفاهيم وعرض الحقائق التاريخية في

تطبيق هذه السياسة الفرنسية، كذلك المنهج الإحصائي المبني على عرض الأرقام حول نسبة التعليم وحول عدد المدارس.

تقييم المصادر والمراجع:

لقد إعتدنا في إنجاز هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة تختلف أهميتها حسب معالجتها للموضوع وهي كالاتي: كتاب عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر الذي تحدث فيه عن مناهج التعليم الفرنسي، وكذلك كتاب شارل روبير أجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919 الذي تناول فيها المدارس العربية والفرنسية بالإضافة إلى رابح تركي في كتابه التعليم القومي والشخصية الوطنية الذي أفادنا في معرفة طبيعة السياسة التعليمية الفرنسية، وكتاب محمد الطاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر، وكتاب خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية في الجزائر إذ هما الكتابان الوحيدان المتخصصان في التعليم الديني وساعدانا كثيرا بالإضافة إلى بعض مؤلفات الدكتور أبو القاسم سعد الله.

صعوبات البحث:

أما الصعوبات التي إعترضتنا خلال إنجاز هذا البحث فكانت كثيرة منها:

- نقص المادة العلمية التي تخص الموضوع (الصحراء بالتحديد).
- بالإضافة إلى أهم عائق حيث لم يواجهنا نحن فقط بل إعترض طريق أي طالب هو في صدد إعداد مذكرته وهو فيروس كورونا والظروف الإستثنائية التي مرت بها البلاد مما تسبب في غلق الجامعات والمكتبات وبالتالي صعوبة التواصل مع الأستاذ المؤطر، وصعوبة الحصول على المعلومات والإعتماد على المكتبات الإلكترونية.

مدخل:

واقع السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر قبل 1880م

لمحة عن الإطار الجغرافي والبشري للجنوب الجزائري:

1- حدود إقليم الصحراء:

يعد الجنوب الجزائري جزءا من الصحراء الكبرى الإفريقية التي تمتد من المحيط الأطلسي غرب إلى البحر الأحمر شرقا ومن جبال الأطلسي شمالا إلى بلدان الساحل جنوبا، وتغطي الصحراء الكبرى مساحة ثمانية ملايين كلم²، يشترك فيها كل من جنوب المغرب والجزائر وتونس وليبيا وشمال مصر وغرب موريتانيا ومالي والنيجر والتشاد وجنوب السودان.¹

أما مساحة الصحراء الجزائرية فتبلغ 1987600 كلم²، وبذلك تمثل مساحة واسعة تجاوزت نسبتها 90% من مساحة القطر الجزائري.

والصحراء في تركيبها الجغرافية أبسط من المنطقة التالية، إذ لا نجد بها الجبال المتقطعة، ولا المرتفعات المعقدة ولا السهول الضيقة المحصورة، ولا الإلتواءات الحديثة، ولكن نجد السهول التحاتية الواسعة، والأحواض المغلقة، والجبال بحافات شديدة الإنحدار والعروق الرملية المتقلبة.²

لقد كان للوضع الجغرافي إنعكاس مباشر على الصحراء ودور كبير في سير الأحداث التاريخية وفي السياسة الفرنسية التي كانت تختلف عما عرفه الشمال من أحداث تاريخية.³

رغم إتساع و عزلة الصحراء الجزائرية، إلا أنها مهيكلة بشبكة معتبرة من المدن والمراكز

¹ Dictionnaire universale des nous propres le petit robert, paris, 1981, P1617.

² عبد القادر حليمي، جغرافيا الجزائر الطبيعية، بشرية إقتصادية، ط 01، 1968، ص 56.

³ إبراهيم مياسي، توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي، ماجستير في التاريخ المعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر العاصمة، 1987/1986، ص13.

والواحات ذات الأهمية الإستراتيجية القصوى بالنسبة للاستعمار الفرنسي لتوغله وإحكام السيطرة التامة عليه.¹

وتتركب هذه الشبكة من مدن وواحات تعتبر عواصم لأقاليم طبيعية كالزيبان وبنى ميزاب ووادي سوف والساورة والهقار وبسكرة* والجلفة والأغواط* ومدينة توقرت*.

مفهوم السياسة التعليمية الفرنسية:

تعتبر السياسة التعليمية نوع من الغزو الفكري الذي يعمل على إستمرار وتوسع الإستعمار، لأن فرنسا بعد أن وجدت صعوبة في إستعمال سياسة السيف والمحراث، رأت من الضروري الإعتماد على التعليم، لأن إستعمار العقول هو الوحيد لضمان السيطرة على الجزائر² لذلك أنشأت فرنسا بعد ثورات 1848، لجان تدرس قضية تعليم المسلمين الجزائريين لتضمن إستمرار البلاد وتدعم هذا بعد صدور مرسوم 14 جويلية 1850، الذي هلك له العديد من القادة العسكريين وإعتبروه من أنجع الوسائل لحكم الجزائر، وخاصة بعد نشر اللغة الفرنسية وتعميمها في أوساط السكان، وحقيقة كانت فرنسا تهدف إلى تجهيل الشعب الجزائري وفي هذا الصياغ يقول المفكر روجيه غارودي "إن الإستعمار قد فهم مبكرا أن شعبا بلا تعليم ولا ثقافة لا يكلف معركة كبيرة."³

¹ جيلاني صاري، دور البيئة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص33.

* مدينة بسكرة: وهي بوابة الجنوب القسنطيني نحو الصحراء المنخفضة وعاصمة الزيبان تعد من أهم المدن الصحراوية المكتظة بالسكان.

* مدن الجلفة والأغواط: عبارة عن أبواب أساسية للجزائر الوسطى نحو الصحراء ومراكز إستعمارية صحراوية هامة في توغل نحو الجنوب الجزائري.

* مدينة توقرت عاصمة طبيعية لمنطقة وادي قير وهي الأكثر سكانا في الصحراء حوالي 40000 نسمة.

² توران إيفون، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، تر: عبد الكريم اوزغلة، دار القصب للنشر، الجزائر، 2007، ص ص 45 46.

³ روجي غارودي، حول الحضارات، منشورات عويدات، 1970، ص48.

وظهرت بعد ذلك أفكار كثيرة لمحاولة تطبيق السياسة التعليمية إذ كان الضباط العسكريون بالمكاتب العربية• يرون في توزيع الملابس وتقديم الإعانات المادية للتلاميذ هو عامل من عوامل نجاح المدرسة العربية الفرنسية.

تعريف التعليم:

هو خزان المعلومات في الحافظة وتدريب المتعلم على القراءة والكتابة، وحشو ذهنه بالحقائق والأرقام والمسائل المتنوعة بالتربية والتهديب، إذ هما غيرا التعليم لخلوه منها بعض الأحيان لأن هذين إنما يقومان بتقويم النفس وتهذيبها ورياضة العقل وتنقيفه وتربيته، ويصح بجانب هذا التعليم أن نقول أن كل تربية وتهذيب تعليم.¹

الغاية من التعليم على أن يصبح المتعلم قد تربت نفسه وتقومت أخلاقه وتهذيب ذهنه، وصار قادرا على توليد أفكار جديدة واستنتاجات خاصة كلما تقدم في سبيل التعلم ومراحل الحياة.²

• المكاتب العربية: هي خلية تجسس وأداة لتفريغ الجزائريين بلغ عددها في سنة 1870 تسعة وأربعون مكتبا.

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص280.

² رابح تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1870، ص151.

طبيعة السياسة التعليمية الفرنسية:

لقد تبين لقادة الإحتلال، أمام المقاومة الشعبية المسلحة التي دامت طيلة القرن التاسع عشر، بأنه يستحيل التمكين للغزو بالأعتقاد على القوة العسكرية لوحدها فقط بل لابد من مرافقتها بغزو ثقافي وفكري، وأدبي يساعد على تسريع وتيرة التغلغل الإستعماري وتوطيد نفوذه¹، تضطلع به المدرسة الفرنسية التي صب أحد غلاة الإستعماريين، يجب " أن توجه سهامها وتضرب بقوة كل ما هو وطني وديني و خاصة كل ما من شأنه أن يساهم في تكتل الأهالي حول هويتهم الأصلية..."² ولهذا يمكن إعتبار إدخال المدرسة الفرنسية بمثابة مرافقة وتكملة للمجهود العسكري بغرض خلق ميزان قوي في صالح المعمرين.³

لهذا أهتم قادة الإحتلال ببلورة سياسة التعليم أخذت صيغتها سنة 1883 و تركوا لنا تقارير وتعاليق بشأنها جديرة بالإهتمام إذ يقول روفيقو في هذا الشأن " إنني أرى في نشر التعليم ولغتنا من أكثر الوسائل فعالية لتثبيت إستعمارنا لهذا البلد".⁴

نفس النظرة كانت لدى حاكم الجزائر دوق دومال (Duc d'aumale) إذ يقول "إن لفتح مدرسة في مجتمع الأهالي مفعولا يعادل قوة فيلق عسكري في عملية بسط الأمن في البلد".⁵

¹ Ahmed Mahses, Le mouvement révolutionnaire en Algérie, de la 1^{er} guerre mondiale à 1954 , Edition l harmattan, Paris, 1979,P332.

² عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص ص40 41.

³ Ahmed Ghouati, Ecole et imaginaire dans l Algérie coloniale par cours et témoignage, l harmattan, Paris 2009, P187.

⁴ Ivide, P 188.

⁵ يحيوي مرابط مسعودة، المجتمع المسلم والجماعات الأوربية في الجزائر القرن العشرين، حقائق وإيديولوجيات وأساطير ونمطيات المجلد الأول، تر.محمد المعراجي، دار الهمة، الجزائر 2010، ص 209 .

وفي عهد الإمبراطورية الثانية تم الاهتمام بالتعليم في الجزائر من قبل نابليون الثالث* وخاصة بعد زيارته للجزائر سنة 1865 وذلك بتأثير على مستشاره إسماعيل عريان بفرض نجاح عملية التوسع الاستعماري والتمكين للغزو الفكري، وقد كتب الجنرال ديكرو (Ducrot) في تقرير سنة 1864 حول الوسائل اللازم استعمالها لفرض الأمن من الجزائر ما يلي: "يجب عرقلة تطور المدرسة الإسلامية والزوايا وبالأحرى تجريد الجزائريين من أسلحتهم المادية و المعنوية...".¹

زاد إهتمام الفرنسيين بتعليم الجزائريين في عهد الجمهورية الثالثة وبقضية وضع سياسة تعليمية وذلك بإصدار قانون 13 فبراير 1883.

وضعية التعليم الفرنسي في الجزائر قبل 1880 (1830-1880):

التعليم هو وسيلة لتمير رسالة العلم من جيل إلى آخر خاصة في المستويات الأولى منه، وقد يكون كذلك وسيلة سياسية من أجل توجيه فكر جيل معين ينتج عنه ما نسميه بالتنقيف أي أن يكون موجه لخدمة سياسة معينة، أو نشر أفكار، ولكن كثير ما تظهر إشكاليات في وضع البرامج المتعلقة بالتعليم وقد ظهرت بعضها في مسألة تعليم أبناء المسلمين الجزائريين كما أكد على ذلك بول برنارد paul bernard بقوله " إن المشكلة المتعلقة بتعليم أبناء المسلمين الجزائريين كانت محور مناقشات و صراعات، أكثر من أي مسألة أخرى تتعلق بالشؤون الجزائريين".²

* نابليون الثالث 1808-1873: إسمه الكامل هو Charles louis napoléon Bonaparte الإبن الثالث لنابليون بونابرت شغل منصب رئيس الجمهورية بعد ثورة 1848 في فرنسا وحل البرلمان وأعلن نفسه إمبراطورا في ديسمبر 1862.

¹ Mostapha Lacheraf, Algérie nation et société, SNED, Alger, 1978, P107.

² Bernard Paul, L enseignement primaire des indigènes en Algérie, Monde Musulman, Novembre, 1906, P 05.

ولم يكن الإحتلال الفرنسي للجزائر سياسيا عسكريا واقتصاديا فحسب بل كان كذلك ثقافيا، وهو ماجعل الإستعمار إستخدام التعليم كوسيلة لتحقيق أهدافه وخدمة للثقافة الفرنسية، بل الثقافة الإستعمارية.[•]

أنواع التعليم و مراحلها:

1/ التعليم الإبتدائي:

أنشأت السلطات بإقتراح من "دورفيو" إبتداءا من سنة 1833 أول مدرسة مختلطة بمسجد "سوق الجمعة" تعلم الفرنسية لأبناء الجزائريين واليهود، والعربية لأبناء الفرنسيين، ثم أنشأت مدارس أخرى على شاكلتها وفي سنة 1836 تأسست أول مدرسة وهي الوحيدة خلال سبع سنوات الأولى من الإحتلال ولم تستقبل سوى 90 تلميذ خلال هذه الفترة والسبب يذكر سعد الله "وإن الجزائريين الأولين قد قاطعوا المدرسة الفرنسية الوحيدة في الجزائر خوفا على أبنائهم من الغزو الفكري والديني ثم إن الكثير منهم كانوا ما يزالون ينتظرون الفرج، أي خروج العدو من بلادهم ولذلك ظلوا في حالة ترقب"¹ والمعروف أن تلك المدارس لم تكن موجهة للجزائريين عامة ولكن لأبناء الموالين للإستعمار الذي يخدمون مصالحهم، أو الموظفون في الإدارة.

إحتوت المدرسة التي تم تأسيسها في 1836 على قسم واحد، وفي السنة التي تليها تم تنظيم دروس للكبار لتعلم اللغة الفرنسية التي أصبحت معرفتها شرطا للتوظيف في المصالح الإدارية الخاصة بالأهالي.²

• الثقافة الإستعمارية: هي توظيف كل فكرة تحقق لإستعمار بهدف إخضاع الشعوب فكريا.

¹ أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1830-1900، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1992، ص92.

² جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الإستعمار، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص16.

2/ التعليم الثانوي:

كان الأوربيون بحاجة لمدارس التعليم الثانوي من أجل تجنب أولادهم السفر لمواصلة دراستهم و تلبية لذلك أنشأت الإدارة الإستعمارية مؤسسة أسمتها "كوليج الجزائر" في يناير 1835م¹ وفي سنة 1848م تم إلغاء الكوليج وإحلال بديله إسم الثانوية، فأصبح يطلق عليه (ليسيه الجزائر) وهو إطلاق غير دقيق لأن مستوى التعليم فيه كان متوسط، وهناك إحصائيات على عدد التلاميذ في الثانوية في 1847م يقدر بـ 165 تلميذ ثم إرتفع العدد إلى 204 سنة 1849م وبحلول سنة 1850م كان العدد 226 تلميذ² وهذه الإحصائيات هي مجموع عدد التلاميذ الأوربيون والجزائريون واليهود وعموما يعني أن الأبناء الجزائريين كان عددهم قليل بالنظر إلى إقبال الأجناس الأخرى على التعليم.

وتعتبر ثانوية المارشال بيجو* أول ثانوية بمفهومها الحديث أنشأتها الإدارة الفرنسية في الستينات من القرن التاسع عشر، والتي تقدم تعليم ثانوي كما تأسست ثانوية بقسنطينة سنة 1867م حيث إستقبلت في البداية 108 طالب جزائري وكذلك مدرسة أخرى في وهران فقد تم تأجيل إفتتاحها إلى غاية 1870م بسبب تأخر في البناء.

إصطدم التعليم الثانوي بالعديد من العوائق إلى غاية 1865م لم يكن متوفر سوى مدرسة ثانوية واحدة بالجزائر العاصمة مع أعداد قليلة من التلاميذ.

كذلك تأسس أول معهد عربي فرنسي في الجزائر بعد صدور المرسوم الإمبراطوري في 1857/03/14 وكان مخصص لأبناء الموظفين الجزائريين في الإدارة العسكرية و العائلات

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص292.

² نفسه، ص300.

* تسمى الآن ثانوية الأمير عبد القادر بباب الواد بالجزائر العاصمة وقد خصص لها مشروع لترميمها سنة 2009 من طرف وزارة التربية الوطنية الجزائرية.

الكبرى وأبناء الفرنسيين وأبناء الجنود الجزائريين* الذين ماتوا أو جرحوا في ميادين الحرب خدمة لفرنسا.

وإذا سلطنا الضوء على بعض الإحصائيات المقدمة عن هذه المعاهد فإن معهد قسنطينة تطور عدد التلاميذ به، ففي سنة 1868 م كان العدد 156 منهم 115 جزائري و 41 أوريا، ثم ارتفع العدد إلى 205 سنة 1870 منهم 116 جزائري و 89 تلميذ أوريا.¹

ورغم تفوق عدد الجزائريين، وخصوصية البرنامج الذي أعطى جزءا للعربية والتعليم الإسلامي إلا أن الإقبال كان ضعيفا مقارنة بعدد السكان والأعداد الهائلة التي فقدت حق التعليم بعد إنهيار المدارس الإسلامية.

لم تلقى هذه المعاهد ترحيبا، بل عارضها المستوطنون معارضة شديدة لما تقدمه للجزائريين من خدمات تعليمية واحتجوا بالنفقات المالية الباهظة، وقد تحققت رغبتهم بعد مجيء الحاكم العام المدني دوقا بيرت فالغي معهد الجزائر لإرضاء مطالب الأوربيين.

ثالثا: المدارس الشرعية الثلاثة:

سيطرت فرنسا على المساجد والمؤسسات التعليمية الدينية الإسلامية ونظرت لإرتباط المجتمع بها واستحالة التخلي عنها، سعت فرنسا لتسييرها حسب المصالح السياسية لها بل من القضاء عليها وإزالتها.²

* بعد الإحتلال الفرنسي في الجزائر كون فرقة عسكرية من الجزائريين عرفت بـ"الزواف" تقاتل إلى جنب الإحتلال ووصفهم محمد بيرم في رحلته عندما تحدث نابليون الثالث وعلاقته بالجزائريين بقوله "واختص منهم في باريس قسما من العساكر لحراسة ذاته ورفع من شأنهم وقسما من الفرسان في مصاحبته في ركوبه وقد حاربوا مع الفرنسيين ودافعوا عنهم في حرب 1870م".

¹ عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الهومة، الجزائر، 2010، ص 58.

² نفسه، ص 59.

وكي تتحكم في هذه المساجد رأى الساسة الاستعماريون توظيف أئمة وقضاة، وفقهاء موالين للإستعمار أو على الأقل عدم معارضته، ومن أجل تكوينهم وفقا للعقلية الإستعمارية تم تأسيس المدارس الشرعية الثلاث، وكان إنشائها في فترة نابليون الجمهوري ثم الإمبراطوري والذي حاول تقديم تعليم للجزائريين يمزج بين التراث الإسلامي والثقافة الفرنسية وكان الهدف منها تكوين فئة مسلمة تلعب دور الوسيط بين السكان والإدارة الإستعمارية وكذلك إبعاد السكان الجزائريين عن تأثيرات رجال الدين الجزائريين الأحرار في الزوايا والمساجد والمدارس الحرة.¹

كان في البداية الإنضمام إلى هذه المدارس ضئيلا في مرحلتها الأولى ثم بدأ يتطور العدد من 66 طالب سنة 1868م إلى 142 طالب سنة 1870م رغم هذه المدارس واجهت مشكلة في إيجاد أساتذة وهو ما جعلها تلجأ إلى طلبة الزوايا المتفوقين في الجنوب الجزائري.²

لكن هذه المدارس لقيت نقدا من طرف رجال الكنيسة ففي نظرهم كيف يمكن لفرنسا أن تمول ماليا أفكار تعادي المبشرين كما لقيت نقد من طرف العلمانيين والملحدون الذي رفضوا تدريب أي مادة بالدين في المدارس الفرنسية الموجهة لأبناء الجزائريين.³

¹ عبد القادر حلوش، مرجع سابق، ص 59.

² محفوظ قداش والجيلالي صاري، الجزائر صمود ومقاومة 1830-1962، تر: خليل أوزاينية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص 269.

³ نفسه، ص 269.

رابعاً: التعليم الديني (التبشير و التنصير):

يرى محمد الطاهر وعلي أن التعليم التبشيري في الجزائر مر بمرحلتين: المرحلة الأولى من بداية الإحتلال إلى غاية 1867 ثم المرحلة الثانية 1830-1904 و أطلق على المرحلة الأولى مرحلة الإنتظار في الشروع في الحملة التنصيرية بين أفراد الشعب الجزائري¹.

رغم أن المخططات التبشيرية وضعت في هذه المرحلة إلا أن الفرص لم تتوفر لتجسيدها على أرض الواقع، فالتعليم التبشيري كان منتشرًا بين أبناء الأوربيين ولم يستطع أن يستقطب أبناء الجزائريين² سوى بعض اليتامى الذي فرض عليهم التعليم التبشيري قهرا تحت مظلة تقديم الخدمات الإنسانية.

ظهر تحالف بين السلطة السياسية والسلطة الدينية التبشيرية لنشر المسيحية، بل أن المارشال بيجو ذكر أن هناك توافق بين المبشر والجندي في حفل تنصيب الإخوة لاتراب La trappe في سطاوالي 1843 وعمل أولئك الإخوة يساعد على إخضاع الجزائريين فيقول: "الخصال الحميدة والأعمال الصالحة التي اشتهرت بها طائفة الإخوة لاتراب سوف تساعد في إستمالة قلوب العرب إلينا بعدما أخضعناهم بقوة السلاح"³.

كما إدعى الإستعمار الفرنسي أن الهدف من وراء إحتلاله للجزائر هو نشر الحضارة، وقد كان مفهوم الحضارة لدى الجنيرالات الأوائل هو نشر مبادئ المسيحية وهو ما تبين من خلال رسالة الجنرال دوفيفيي (Le Général franciad fleurus duvivié) سنة 1843 "هناك

¹ محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر 1830-1904، دراسة تاريخية تحليلية، منشورات دحلب، الجزائر، 2013، ص 104.

² نفسه، ص 104.

³ مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنيفي بن عيسى، دار القصبية، الجزائر، 2007، ص 275.
• دوفيفيي: رجل عسكري فرنسي برتبة جنرال، ولد سنة 1794م وتوفي 1848م لعب دورا كبيرا في الدفاع عن باريس في 1814م ضد دول التحال الأوروبي، رافق الحملة الفرنسية على الجزائر في 1830م، وعين قائد لفرقة الزواف له دراسات عديدة حول الجزائر تتعلق باللهاجات والآثار القديمة التي وجدها في المدينة.

مشروع آخر سوف يرضي المشاعر النبيلة لدى الفئة الصالحة من أمتنا إذ تواصل العمل فيه إلا أن يتم إحتلال الجزائر نهائيا، وهذا المشروع ديني وأخلاقي محض، يتعلق بإدخال الحضارة إلى الشعوب الإفريقية والحضارة المستهدفة هنا التي تتبثق من أخلاق المسيح، وليت الحضارة المتهافتة من المادة القائمة على إرضاء الحاجات، وإذا شئنا أن نحضر الشعوب فما علينا إلا نشر أفكار الإنجيل، إن الأفكار هي التي تضمن لنا السيطرة إلا أن سلاحنا في هذه الحرب هو سلاح أفكار".¹

إحتضنت فرنسا سياسة تبشيرية واسعة النطاق لتصير الجزائريين والقضاء على الثقافة الوطنية ونشر التعليم الفرنسي وكذلك كان غرضها هو تحويل المجتمع الجزائري إلى مجتمع فرنسي وإلحاقه مباشرة بفرنسا وقد إتبعته هذه الأخيرة سياسة مقننة لتحقيق أهدافها الإستعمارية ورأت في التعليم والمدرسة خاصة أنجع وسيلة لتحقيق سياستها بدعوى إزالة الأمية والجهل وأنها لا تتوي القضاء على التعليم العربي الإسلامي، بل تريد إصلاحه وتطويره وبهذه الصورة تأسست المدارس الفرنسية وتمت السيطرة على التعليم الديني ومؤسساته ورجاله.²

ومهمة هذه المدارس بث الدعاية الإستعمارية ورسالة الحضارة بغرض رؤى أخرى، وتفكير مغاير لفكر المجتمع الجزائري.³

حيث وصلت حركة التنصير أواخر القرن 19 إلى مناطق الصحراء مثل مدينة غرداية،

¹ مصطفى الأشرف، مرجع سابق، ص 276.

² يحي بوعزيز، سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1835-1844م، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، 2007، ص 07.

³ نفسه، ص 09.

الأغواط إلا أن مجهودات المبشرين في هذه المنطقة فشلت لتمسك السكان الشديد بدينهم الإسلامي.¹

تجربة كاردينال لافيغري Charles Lavigerie التبشيرية في الجزائر:

انتشرت في الجزائر بعد 1867 عدة جمعيات مسيحية أهمها :

- جمعية الآباء اليسوعيين (الجزويت):

تمثل النواة الأولى للتعليم التبشيري في الجزائر، دخل الجزويت بلاد جرجرة سنة 1863 من أجل نشر التعليم التبشيري في المنطقة، ولقد سعت هذه الجمعية إلى تكوين معلمين المبشرين، وتأسيس المدارس لإستقبال أبناء الجزائريين فيها وهذه الجمعية التبشيرية جاءت مع مجيء كاردينال لافيغري.*

ويعتبر الجزويت أول من أستخدم التعليم التبشيري كقناع للتبشير.²

- جمعية مبشري السيدة الإفريقية (الآباء البيض): يعد لافيغري أحد الوجوه التاريخية

المسيحية التي أثرت بعمق على فلسفة التبشير، وطبعتها بتفكيره وسلوكه وجرأته في شتى

¹ أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956م، ص 139.

* فرقة كاثوليكية يسوعية تنتشر في أوروبا بصفة عامة، وفي البرتغال وإسبانيا وفرنسا بصفة خاصة، وهي تعرف بالرهبة اليسوعية أو رفة اليسوع وهي رهبة مسيحية كاثوليكية رجالية، أنشأها قسيس فرنسي يدعى أغناطيوس ديلايولا عام 1540م، وهي تنتشر اليوم في 112 دولة حول العالم.

* كاردينال شارل مارينال لافيغري: (Charles Martial Lavigerie) (31 أكتوبر 1825-18 نوفمبر 1892) هو كاردينال فرنسي ولد في ببايون (Bayone) الأطلنطية، عمل أستاذ تاريخ بجامعة باريس ثم إنتقل إلى سوريا لمساندة الحركة التبشيرية عن طريق التعليم، ثم إنتقل إلى الجزائر 1867م وأسس في سنة 1868م جمعية المبشرين بالجزائر (جمعية مبشري السيدة الإفريقية)

² محمد الطاهر وعلي، مرجع سابق، ص ص 123 124.

الميادين وهو يمثل خلال سنوات 1868-1892 قمة التبشير في الجزائر وفي إفريقيا بصفة عامة.¹

تتفرع جمعية مبشري السيدة الإفريقية إلى شقين الآباء البيض والأخوات، وكانوا أكثر تغلغلا في منطقة القبائل 1871 وقد إمتد نشاطها إلى منطقة الجنوب الجزائري.²

وقد بلغ عدد المدارس المسيحية للإباء البيض 21 مدرسة سنة 1878 يدرسوا فيها 1039 تلميذ أغلبها في منطقة القبائل وأولاد سيد الشيخ، وورقة³ وكانت أكثر إنتشارا على المستوى التراب الوطني من أجل تعزيز مخطط لافيغري التبشيري الذي يستهدف خدمة المصالح الإستعمارية في الجزائر.⁴

- الإهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية:

كان الإهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية مركزيا وسابقا عن الاحتلال الفرنسي للجزائر العاصمة عام 1830، إذ أن الرحالة الأوربيين قد دونوا معلومات قيمة عن الجنوب الجزائري.⁵

وقد إستفاد الضباط الفرنسيون مما تركه هؤلاء الرحالة في معرفة أحوال الصحراء، وتوجيه حملاتهم التوسعية بهذه المنطقة، ومن ذلك نذكر الضابط لابي (La pie) الذي تمكن من وضع خريطة عامة للجزائر أبرز فيها تضاريس المنطقة الجنوبية، وكانت هذه الخريطة

¹ خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871م ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص 111.

² محمد طاهر وعلي، مرجع سابق، ص ص 114 115.

³ طاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل و بعد الإستقلال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دت، ص 14.

⁴ محمد طاهر وعلي، مرجع سابق، ص ص 123 124.

⁵ عميرايو أحميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص30.

* لابي: ضابط فرنسي كان تحت رعاية نابليون ترك كتاب بعنوان Les touaregs du nord

أحسن أداة وظيفها الفرنسيون فيما بعد في التوسع العسكري والمدني والإداري والإجتماعي في الصحراء.

وكان إهتمام الفرنسيين بالصحراء الجزائرية ضمن الإهتمام الأوربي بها ويعتبر عام 1849م بداية الدخول الفرنسي القوي إلى الصحراء بعد إحتلال كل من باتنة وبسكرة عام 1844م.¹

ولقد كانت الحملة على الجنوب الجزائري حملة صليبية حيث كان شعارها "إضاءة أرض الجزائر بالإنجيل" كون أن الصحراء الجزائرية تعتبر البوابة نحو إفريقيا كذلك المحور الكلي أو الجزئي للمظاهر الدينية والتعليمية في المجتمع الجزائري، إضافة إلى بناء الكنائس والأسقفيات التي تعمل على نشر التعاليم المسيحية.

ولقد حددت السياسة التعليمية الفرنسية في الجنوب على أهدافها الجوهرية وهي الفرنسية والتغريب والتنصير فالمدرسة عندهم وسيلة لتحقيق أهدافهم التنصيرية حيث يقول فرانسوا بورفاد* "إن التعليم والدين يبدأ مبكرا في نفوس الأطفال، وأن العقيدة تغرس في نفس الطفل منذ الصغر في البيت أولا ثم المدرسة ثانيا، فعلينا أن نبدأ من حيث بدأ الإسلام".²

وهذا ما لجأ إليه بورغاد ألا وهو التعليم لعدم نجاعة سبيله في التصير، ولتحقيق هذه الأهداف أسس مدرسة سانلويس وروضة سنة 1846م.

¹ عميرواي أحميدة وآخرون، مرجع سابق، ص 31.

* فرانسوا بورفاد: ولد بمدينة نانسي سنة 1806م لم يكمل تعليمه الثانوي والتحق بالمدرسة اللاهوتية فتخرج منها قسيسا وجاء إلى الجزائر سنة 1838م لباشر مهامه التنصيرية وهو من ألمع رجال الدين المنصرين في الجزائر وتونس.

² خديجة بقطاش، مرجع سابق، ص 71.

الفصل الأول:

السياسة التعليمية الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1880-1914م

- مفهوم السياسة التعليمية الفرنسية.
- واقع التعليم العربي الإسلامي في الجنوب الصحراوي.
- واقع التعليم الفرنسي في الجنوب الصحراوي.
- أهداف السياسة التعليمية الفرنسية.

- مفهوم السياسة التعليمية الفرنسية:

بعد الإحتلال مباشرة حاولت السلطات العسكرية الفرنسية تنظيم تعليم خاص بالجزائريين لتكوين أفراد موالين لها، فكانت مراسيم تأسيس المدارس والمعاهد العربية الفرنسية والإشراف على التعليم العربي الإسلامي ووضعه تحت الإدارة الفرنسية (الإستعمارية)، وكان هذا التعليم مخصصا لأقلية معينة من المجتمع بينما كانت الأغلبية منه تعيش في الجهل والحرمان الثقافي، فحتى سنة 1882م كانت نسبة تعليم الجزائريين بمعدل واحد لكل ألف تلميذ جزائري.¹

وكانت السياسة التعليمية الفرنسية التي بدأت تتشكل منذ العهد الإمبراطوري* تهدف إلى القضاء على الثقافة الوطنية وتنتشر التعليم الفرنسي مكانها بين أوساط معينة من السكان لجعلها ميدان تجربتها الإستعمارية، وكان الغرض الأهم من ذلك هو تحويل المجتمع الجزائري إلى مجتمع فرنسي وإحاطه مباشرة بفرنسا الوطن الأم* وإعتباره إمتدادا طبيعيا لجنوب فرنسا، وأن الجزائر مستعمرة من نوع خاص تختلف عن المستعمرات الفرنسية² فيما وراء البحار، وركزت مدرستها الإستعمارية كثيرا على هذا الجانب بإحتواء برامجها التعليمية لهذه الظاهرة بشكل تفصيلي ومقتنع، يستطيع على الأقل بلبلة أفكار الجزائريين وتشكيكهم في أمر عروبتهم وإسلامهم*.

وعلى ضوء هذا التفسير الإستعماري الخاطئ والمزيف، إنتهجت الحكومة الفرنسية سياسة الفرنسية أسلوبا والإدماج غاية لتحقيق أهدافها الإستعمارية، ورأت في المدرسة والتعليم عامة

¹ عبد القادر حلوش، مرجع سابق، ص ص 47 48.

* الإمبراطورية الفرنسية: هي مجموعة من المناطق التي خضعت للحكم الفرنسي وبلغت ذروتها مع لويس نابليون الثالث وجعل نفسه إمبراطور العرب من خلال فكرة المملكة العربية.

* تقصد بها تحديد طبيعة العلاقة بين الدولة الأم والأقطار المرتبطة بها.

² صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830-1925، مديرية النشر الجامعية، جامعة قلمة، 2010، ص 162.

* تقصد بها تحديد طبيعة العلاقة بين كل من فرنسا و الجزائر.

(خاصة في عهد الجمهورية الثالثة) أنجع وسيلة لتحقيق سياستها بدعوى إزالة الأمية والجهل المتفشين بين الجزائريين لتمدينهم.¹

وكان الدوق دومان قد قال صراحة أن "بناء مدرسة أحسن وأفضل من فيلق عسكري لإقرار الأمن"... الفرنسيون مقتنعين أن التعليم وحده كاف لمزج العناصر البشرية المختلفة بفضل إختلاط الاطفال في المدارس، وبدأ العمل بهذه الصورة لتطبيق هذه السياسة في مراحل التعليم الإبتدائي منه خاصة.

وتأسست المدارس العربية الفرنسية وتمت السيطرة على التعليم الديني ومؤسساته ورجاله مع توجيهه الوجهة التي تخدم أغراض المستعمر والتظاهر من جانب آخر أمام الجزائريين على أن الحكومة الفرنسية لا تنوي القضاء على التعليم العربي² والإسلام بل تريد إصلاحه وتطويره، وذلك قصد تجنب معارضة وثائرة الشعب الجزائري لخططها* وكانت مهمة المدارس العربية الفرنسية بث الدعاية الإستعمارية ورسالة الحضارة التي شاء القدر أن تكون من نصيب فرنسا كما إدعت محاولة تبرير الوجود والإحتلال الفرنسي بالجزائر للوصول إلى أعماق المجتمع الجزائري والسيطرة عليه، قامت الحكومة الفرنسية دائما في إطار سياستها التعليمية، بإختراع أسلوب جديد للإستحواذ على الضمير الجزائري عن طريق غسل أدمغة أعيانه وشخصياته الكبيرة.

¹ صالح فركوس، مرجع سابق، ص 157.

* الدوق دومال: الحاكم العام الفرنسي من 1847-1848

² E lion Gaston Guedj, l'enseignement l'indigène en Algérie au cours de la colonisation (1832-1962) Edition des écrivains, paris , France,2000, p 95.

* إستعملت السلطات الفرنسية المدرسة والدين كوسيلة لتنفيذ سياستها الإستعمارية في الفضاء على الثقافة الوطنية وجاءت فرنسا بفكرة المدارس والدين سينموان تحت حماية فرنسا وأصلحها.

فأسست لهم معاهدة في باريس لتقوم بإعدادهم* للمهمة الجديدة التي تنتظرهم والتي فشلت السلطات العسكرية في تحقيقها وهذا الأخير تمثل في الوصول إلى أعماق المجتمع الجزائري والإستيلاء عليه بأيدي جزائرية، كما أن السلطات الفرنسية إذا كانت قد أسست بعض المدارس الفرنسية، فلم تسمح لأي كان أن يلتحقها خوفا من إنتشار التعليم وتعميم الثقافة وما ينجم عن ذلك من مخاطر على السياسة الإستعمارية في حد ذاتها.¹

فتوجهت بذلك إلى العناصر التي تثق فيها والتي يعتبر وجودها ضروريا للعمل الإستعماري في الجزائر.

ولم يمس التعليم كل الجماهير لأن الأعداء المستيرين أخطر عليها من الأعداء الأميين، فحرمت بذلك الجزائريين من التعليم في كل من مرسوم (1883 و1887 و1890) عليهم* وإكتفت بإحداث مدارس إسلامية رسمية لتخريج عدد قليل من المتعلمين تحتاجه إدارتها ومؤسساتها كالمكاتب العربية والوظائف الدينية والقضائية والتعليمية.

وبالتالي خلق فئة صغيرة تلعب دور الوسيط بينها وبين السكان، كما تعمل هذه المدارس الحكومية على منافسة الزوايا و المساجد و المدارس الحرة، وانتشال الجزائريين من قبضتها وتكوينهم على الطريقة الفرنسية ليقوا موالين دائما لمشاريعها الإستعمارية في الجزائر.²

إن السياسة التعليمية الفرنسية أفلحت في خلق وتكوين ما إصطلح على تسميته بجماعة النخبة، هذه النخبة التي عزلتها الإدارة الفرنسية نهائيا عن محيطها العربي وربطتها بالفكر

* إعداد أبنائهم للمهمة الجديدة التي تصل إلى أعماق الجزائريين و فرنستهم.

¹ صالح فركوس، مرجع سابق، ص 160.

* لم يطبق التعليم الإجباري في الجزائر على ثماني بلديات موجودة كلها في منطقة القبائل.

² عبد القادر حلوش، مرجع سابق، ص 49.

والثقافة الفرنسية، وإخضاع الجزائر لسياسة تعليمية فرنسية بحثة بعد سنة 1883م¹، كان يعني القضاء على القسم الثقافي من التعليم الذي أسسه العسكريون والذي جاءت به مراسيم سنة 1850م وهو التعليم العربي.²

واقع التعليم العربي الإسلامي في الأوساط التقليدية في الجنوب الجزائري.

أولاً: التعليم في المدارس و المساجد.

1- الكتاتيب: إرتبطت الكتاتيب* بالمساجد كما إرتبطت الزوايا* بالطرق الصوفية بإنشاء تلك المؤسسات التعليمية الصغيرة عبارة عن إنشقاق عن المؤسسة الأم (المسجد)، فوظيفة الكتاتيب تحفيض القرآن الكريم للأطفال وترتيله لهم، وهي تعتبر أسلوب لمواجهة التصير والتمسيح والفرنسة وحماية الشخصية الجزائرية ومقاومة سياسة التجهيل الفرنسية.³

حاول الإستعمار الفرنسي القضاء على الكتاتيب والتعليم القرآني بصفة عامة وإستبداله بالتعليم الفرنسي فيقول لويس رين: "في مجال التعليم تهدف جهودنا منذ 1830م للحد من التعليم القرآني وإستبداله تدريجياً بمجانية التعليم الأكثر عقلانية والأكثر ملائمة، وفوق كل هذا ما يكون أكثر فرنسيا"⁴ لأن هذه المؤسسات في نظر الفرنسيين عقبة تعيق المشروع الإستعماري، لذلك خصصت الإدارة الإستعمارية مبلغ قليل موجه للمؤسسات الدينية

¹ عبد القادر حلوش، مرجع سابق، ص 49.

² نفسه، ص 49.

* الكتاب: يختلف إسمه من منطقة إلى أخرى وفي الجنوب يسمى المحضرة وهي عبارة عن مدرسة صغيرة لتحفيض القرآن الكريم والقراءة والكتابة.

* زوايا: أو الزاوية هي مؤسسة ثقافية وإجتماعية أكبر حجماً من المدارس والكتاتيب والمساجد، وهي مكان لإيواء طلبة العلم من المناطق البعيدة.

³ يحي بوعزيز، من تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص129.

⁴ Louis Rin, Morobous et Khouas étude sur l'islomen en Algérie Adolph Jourdan, Alger, p05.

الفصل الأول: السياسة التعليمية الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1880-1914م

الإسلامية مقارنة بالمؤسسات الدينية الأخرى المسيحية واليهودية والجدول التالي¹ يوضح ذلك:

المذاهب	عدد الأفراد (نسمة)	قسم الإنفاق الفرنسي	معدل الإنفاق (الفرنك)
الكاثوليك	310.000	920.100	2.93
البروتستانت	7.500	83.100	11.08
اليهود	35.665	26.100	0.731
المسلمين	2.842.497	216.340	0.076

وهذا كان في عهد الحاكم العام جوناو الذي إهتم بالمؤسسات الدينية الإسلامية قليلا مقارنة بالولاة الذين سبقوه، فيذكر المهدي بوعبدلي أن ميزانية كافة الوظائف الشرعية والدينية قدرت بـ 60 ألف فرنك سنة 1892.²

2- **المدارس:** فلقد سلمت المدارس في الجنوب الجزائري من الهجمة الشرسة للإستعمار في عقود الأولى فأقصى مناطق الجنوب لم يصله الإستعمار إلى غاية القرن العشرين ومن بين المدارس التي إشتهرت بتدوف³:

• **المدرسة التندوفية:** التي تقع في تخوم الصحراوية وكان يدرس فيها علماء من فطحا الشناكطة كمحمد يحي الولاتي وأمثاله، بل أن محمد التركي مصحح القاموس درس في هذه الزاوية.

¹ عبد الحميد العموري، الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1880-1914م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، قسم التاريخ، العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2017، ص ص 134 135.

² المهدي بوعبدلي، تاريخ المدن، جمع وإعداد: عبد الرحمان دويس، ط 01، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 76.

³ صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002، ص ص 553 554.

• **المدرسة التاملزيتية:** نسبة لقبيلة تامازت والمدرسة الإيرازنية وهي إحدى فروع مدرسة الشيخ سيدي الحسن التيملي والمدرسة الجاكانية نسبة لقبيلة تاجاكات التي نزلت في تندوف.¹

3- المساجد:

المساجد عبارة عن مباني مخصصة بالدرجة الأولى لأداء الصلوة والتعبد وتعليم الفروض، وتحفيظ القرآن الكريم، وإذا كانت المساجد في الشمال جردت من دورها، فإن المساجد في الجنوب تعددت مهامها لأن الإستعمار لم يحكم سيطرته إلا بعد نهاية القرن التاسع عشر، ففي إحدى التقارير الفرنسية تؤكد أن إمام المسجد هو الذي يعقد الزواج وينظر في الطلاق ومختلف المسائل القضائية² ومن خلال وصف التقرير يبين لنا أن المساجد في توات كانت تؤدي أدوارا هامة ثقافيا واجتماعيا قبل أن تخترقها أيادي المخابرات الإستعمارية.

أما بسكرة وغيرها من مدن الجنوب فلم تتعرض مساجدها إلى الهدم والإحتلال وإنما عانت من الإهمال والإستلاء على الأوقاف ولقد كان لبسكرة نفسها سبعة عشر مسجدا سنة 1880، ومن أشهر هذه المساجد مسجد سيدي عقبة بن نافع الفهري³، ومسجد سيدي مالك بسكرة.

¹ شارل روبر آجرون، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج01، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 954.
• تستعمل كلمة المسجد أو الجامع لنفس الشيء وهو المصلى الصغير الحجم وبعض المساجد تابعة للزوايا أو القباب (الأضرحة)

² شارل روبيير آجرون، الجزائر المسلمون وفرنسا (1870-1982)، ج02، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 469.

³ أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 12.

لم يكتفي الإستعمار بتهديم المساجد والإستيلاء على أوقافها بل سيطر على ما بقي منها عن طريق تعيين الأئمة والمفتيين والخطباء، ومراقبة خطب الجمعة ففي سنة 1960 كان عدد الأئمة 149 إمام الذين عينتهم السلطات الإستعمارية.¹

4- الزوايا: لقد لعبت الزوايا في الجنوب الجزائري دورا مهما في تلقين مناهج التعليم وتحفيظ القرآن وتعلم الكتابة والقراءة وتقديم الدروس² خاصة للشيخ الطاعنين في السن. لكن هذه الأخيرة لم تسلم من التصييق والقمع قبل 1880 وبعدها فكان ينظر إليها أنها وكر للتعصب وإثارة الحروب ومعاداة المسيحيين، ولهذا تعامل معها الإستعمار ظاهريا إعطاء مكانة لشيخوخها وباطنيا سعت السياسة الإستعمارية إلى إضعاف عقيدتها.³

ولقد دفعت الزوايا ثمن تحريكها للثورات الشعبية، وكان الإخوان التابعون للزوايا قد لعبوا دورا حيويا فيها⁴ وقد تعرضت هذه الأخيرة إلى الإستيلاء على أوقافها وغلقها ونفي شيخوخها والتصييق عليهم مثل تعرض شيخوخ الزاوية الهاشمية القادرية للقتل والنفي بسبب مساندة الطريقة السنوسية في ليبيا ضد الإحتلال الإيطالي.⁵

¹ شارل روبيير أجرون، ج2، مرجع سابق، ص 470.

² محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، 1929-1940، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص 147.

³ صلاح مؤيد عقبي، مرجع سابق، ص 364.

⁴ شارل روبيير أجرون، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج1، مرجع سابق، ص 551 552.

⁵ نصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000، ص 73.

الدور الديني والتعليمي للزوايا:

ارتبطت الزوايا إرتباطا وثيقا بمهمة التعليم ومع إستقرار الوظيفة التعليمية للزوايا تطور معها نظام التعليم الديني ومناهجه، لدرجة أنها أعتبرت مؤسسات متخصصة في التعليم فالزوايا كانت بمثابة مخازن ودواوين للكتب والمخطوطات لمختلف الكتب.¹

لم يتجه المستعمر عند دخوله الجزائر إلى التربية والتعليم مباشرة نظرا لإنشغاله بمحاولة إخضاع البلاد وبالتالي فإن إهتمامه بهذا المجال كان من خلال قرارات لضرب المجال التعليمي الرامي إلى وضع الإستعمار يده على الأوقاف الإسلامية، وتجلت الروح الصليبية في ما قاله شارل العاشر*: "إن العمل الذي سأقوم به لترضية شرف فرنسا سيكون...لفائدة المسيحية".²

ونجد فرنسا قد وضعت اللغة العربية والإسلام في كفة واحدة وحاربتها منذ دخولها الجزائر لذلك تأثرت حركة التعليم تأثرا كبيرا بالإحتلال.³

أما عن الزوايا فلقد هدمت وأهملت و حرمت من الأوقاف التي كانت تعتمد عليها، وضيق مجال نشاطها وأنشأت مدارس فرنسية لسحب التلاميذ منها، كل ذلك لخدمة الأغراض البشرية الهادفة إلى تنصير الجزائر وإخراجها عن هويتها العربية.⁴

¹ ناصر الدين سعيدوني، مرجع السابق، ص 74.

* شارل العاشر: ملك فرنسا من 16 سبتمبر 1824 في 02 أغسطس 1830 أحد ملوك أسرة آل بوربون وآخر من حكم منهم طرده الثورة الفرنسية من فرنسا وتوفي في إيطاليا.

² نور الدين العوني، التعليم العربي في الجزائر ما بين 1830-1900، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 1984/1985، ص 101.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص 173.

⁴ نفسه، ص 173.

بعض الزوايا في الجنوب الجزائري:

هناك زوايا أنشأتها الطرق الصوفية وقدر عددها كويولاني* سنة 1899م بـ 349 زاوية منها 33 تابعة للطريقة القادرية و177 زاوية للطريقة الرحمانية و32 زاوية تابعة للطريقة التيجانية¹ ومن بين زوايا الطريقة الرحمانية في الجنوب:

- **الزاوية المختارية:** نسبة إلى مؤسسها الشيخ المختار بن خليفة الجيلالي سنة 1815م بدائرة ولاد جلال ولاية بسكرة حاليا وقد حظيت هذه الزاوية بسمعة طيبة في أوساط طلاب العلم نظرا لبرنامجها الثري لمختلف المواد.²

ويضاف لها الزاوية العثمانية بطولقة "ولاية بسكرة حاليا" وهذه الأخيرة تأسست في نهاية القرن الثامن عشر وهي مستمرة إلى يومنا هذا، وفي فترة دراستنا (1880-1914) كان يتولى شؤون الزاوية العثمانية الشيخ علي بن عثمان الذي يرجع له الفضل في تأسيس مكتبة الزاوية.³

كذلك من بين زوايا الطريقة الرحمانية نذكر زاوية الشيخ الجروني التي في بلدة سيدي خالد أسسها الشيخ علي الجروني وهو من المعاصرين لمحمد بن عزوز البرجي ومختار بن خليفة الجيلالي وفي الجنوب الشرقي نجد الزاوية الهاشمية القادرية بواد سوف مؤسسها الشيخ الشريف الهاشمي بن إبراهيم بن أحمد الكبير سنة 1840-1922م إلى جانب دورها العلمي

* كويولاني: xavier coppolani ولد 1866/11/01 بكورسيكا إنتقل إلى الجزائر وكن بها و كان له إهتمام خاص بالتعليم الإسلامي أثناء دراسته عين عام 1881 موظفا في بلدية واد شرق بالجزائر 1896، تولى إدارة شؤون الأهالي المسلمين في الجزائر.

¹ Coppolani xavier et octave depont, les confréries religieuses musulmanes, up, cit, p 2015

² صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص ص 386 389.

³ نفسه، ص ص 393 402.

لعبت دورا في مقاومة الإحتلال الإيطالي بليبيا، كما أعلن شيخ الزاوية الجهاد ضد الجيش الفرنسي في منطقة السوق سنة 1917م.¹

لعبت زوايا الطريقة الرحمانية دورا كبيرا في الجنوب فيتحدث إبراهيم المياسي عن الزاوية الرحمانية في واد السوف وكان أهم عمل قامت به هو نشر التعليم وإرشاد الناس وإصلاح المفاصد² إستهزت زوايا أخرى في الجنوب الغربي منها الزاوية الكرزارية بإقليم الساورة نسبة إلى منطقة كرزار مؤسسها الشيخ سيد أحمد بن موسى وهي مستمرة إلى يومنا هذا.

زاوية الشيخ عبد القادر بن محمد الملقب بسيدي الشيخ ومن بين الزوايا الموجودة في تيندوف زاوية محمد المختار بن الأعش الجكاني الموساني، وفي أقصى الجنوب الغربي توجد زاوية التوات وزاوية سيد ملاي عبد الله في أوقروت التابعة للطريقة القادرية.

وزاوية سيدي البكري بتمنطيط وزاوية مولاي هبة بأولف أدرار³ وأسس أحمد ملاي الطاهري زاوية بسالي وذكر أن الهدف منها تغذية الطلبة بالعلوم والمعارف المختلفة والإصلاح بين الناس وإيقاضهم من الغفلة وتببيههم على دسائس الإستعمار ومكايده⁴ ولا شك أن الشيخ كان يدرك خطورة الإستعمار خاصة من الناحية الفكرية والثقافية، ولقد كتب الشيخ أحمد الطاهري عن الحقد الإستعماري لتلك الزاوية، ويقول "كلما زاد إقبال الطلبة

¹ صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص 560.

² إبراهيم المياسي، دور الزوايا في نشر التعليم الأصلي الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، جامعة إسبانيا، وهران، يومي 25-26 ماي 2005، منشورات وزارة المجاهدين، 2007، ص 329 330.

³ صالح بوسليم، مؤسسة الزوايا بإقليم التوات خلال القرنين 12-12هـ/18-19م بين الإشعار العلمي والإنتشار الصوفي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، 2010، ص 103.

⁴ نفسه، ص 104.

والناس عليها يزداد حقدهم ويتربصون بنا الدوائر"¹ فكانت المدرسة الطاهرية تخضع لمراقبة شديدة من طرف الإستعمار.

إستمرت الزوايا لنشر رسالتها التربوية وبقيت المراكز الوحيدة للتعليم في بلد سادته الجهل والحرمان الثقافي في تقرير لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي التي زارت الجزائر عام 1891م، كتبت معرفته بتجهيل حكومتها للشعب الجزائري وتنقيف الزوايا لهم، تقول: "إن التعليم المقدم حاليا أي سنة 1891م في الجزائر متروك في أيدي الأهالي والزواوية وهي المؤسسة التعليمية الوحيدة في البلاد."²

5- المكتبات (في واد السوف):

إن الوضع الثقافي الذي يعيشه المجتمع السوفي أثر على إستقرار وبقاء هذه المكتبات، حيث غلب عليها التلف والإهمال خاصة المكتبات الأهلية، وقد إختلفت هذه الأخيرة من حيث الطبيعة والمهام وهي كالآتي:

- **المكتبات الأهلية:** واد السوف منطقة أهلة بالحياة منذ قرون بالإضافة إلى كونها معبر القوافل المتعددة الإهتمامات، مما جعل أهاليها يكونون نقلة لوسائل الحضارة كالكتب والرسائل، الورق والأفكار الدينية³ هذا ما جعلها تشهد حيوية كغيرها من الحواضر الجزائرية، مما شجع بعض الأهالي على الأخذ بأسباب السعي إلى التعلم وهذا السعي كان دوما يحرض على الأخذ بالأمور الضرورية للعملية التعليمية، ومن هذه الضرورات الكتاب، بدءا بكتب القرآن الكريم ثم كتب العلوم الأخرى،

¹ صالح بوسليم، مرجع سابق، ص 105.

² محمد المجاود، دور الزوايا في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات للمجتمع والتاريخ، عدد خاص بفعالية الملتقى الدولي الأول حول الظاهرة الدينية، معهد العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة معسكر، أبريل 2008، ص 317.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص 24.

وهذه المكتبات تنوعت كالتالي:

أ- **مكتبات الزوايا والمساجد:** إن الزوايا بوادي السوف هي من أهم مخطوطات مثل مكتبة زاوية القمار التجانية* ومكتبة زاوية سيدي سالم العزوزية* التي أسست بقمار في سنة 1882م¹

أما مكتبات المساجد فكانت تشمل على المصاحف فقط.

ب- **المكتبات الأهلية الخاصة:** ومن أهم المكتبات الخاصة نجد مكتبة "إبراهيم بن عامر"، كما نجد مكتبة أحفاد "الشيخ خليفة ابن المحسن القماري" ومكتبة "الحاج علي بن القيم" ومكتبة "أحمد بن أبي ضياف" التاغزوني ومكتبة القاضي.²

6- تعليم المعاهد الإسلامية (وادي السوف):

إن تعدد مهام العلماء بوادي السوف لم يمنعهم من تعليم كبار السن المبادئ الدينية وأصول العلوم الشرعية واللغوية، وهذا من خلال المساجد والزوايا بالإضافة إلى بيوتهم، وقد كانت في تلك الأثناء ثلاث حوافز علمية ضمت كل حاضرة ثلاث من العلماء البارزين في المنطقة وهي: حاضرة الوادي وهذه الحاضرة نجد كل من الشيخ محمد العربي بن محمد

* زاوية سيدي سالم العزوزية: هي زاوية تابعة للطريقة الرحمانية العزوزية التي يعود أصلها إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهرى الزواوي الجرجري، أما زاوية سيدي سالم نسبة إلى سالم العايب الموجود في وادي السوف.

* زاوية القمار: نسبة إلى محمد الساسي القماري وهي زاوية قرآنية تابعة لطريقة الصوفية التجانية التي ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر على يد الشيخ محمد التجاني، وهذه الزاوية موجودة في وادي السوف.

¹ أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 32.

² نفسه، ص 04.

الصالح بن موسى* كانت لهم إسهامات في التعليم من وادي السوف ونقرت و كذلك الشيخ عبد الرحمان العمودي* ونجد كذلك الشيخ علي بن صابر*.

كذلك حاضرة قمار وتعد من أكبر الحواضر التي حوت عدد لا يستهان به من العلماء وبالإضافة إلى الحاضرة الثالثة وهي حاضرة الزقم وهكذا كانت وادي السوف تزخر بكم هائل من العلماء الذين قاموا بدور التعليم والتدريس في الفترة المستتيرة (1880-1914م).¹

وقد كان تواجد هذه المدارس والكتاتيب كثيرا جدا في منطقة وادي السوف وقد تكون هذه المدارس تابعة للمساجد أو منفصلة عنها كانت العائلات في وادي السوف تشيد مدارس قرآنية مثل "مدرسة القروي" بالجهة الشمالية التي أسست سنة 1890م من طرف رجل فلاح وتاجر يدعى "محمد القروي بن علي" وهذه المدارس بسيطة حيث يجلس الأطفال على الحصائر أو أفرشة محدودة ولكل طالب لوح من الخشب، بالإضافة إلى الطين الذي يمحي به اللوح بعد حفظ ما به من القرآن.²

* العربي محمد بن صالح بن موسى: (موساوي) المولود ب 1290هـ/1873م وهو عالم زاهد كانت له إسهامات معتبرة في التعليم في واد السوف.

* عبد الرحمان العمودي: هو عالم زاهد ومنتصوف إشتغل بالقضاء، كانت له مراسلات حول أمور الدين والحياة توفي في 1327هـ/1910م بوادي السوف.

* علي بن صابر: عالما من العلماء الجزائريين ومن علماء وادي السوف.

¹ أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 40.

² علي غنابزية، مجتمع وادي السوف من الإحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300-1374هـ/1882-1954م، دار الهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص 175.

التعليم الفرنسي في الجنوب الجزائري (1880-1914م)

خلال الخمسين سنة الأولى التي أعقبت الإحتلال لم تعط السلطات الفرنسية أهمية كبيرة لمسألة تعليم الجزائريين، ولم تبلور سياسة تعليمية واضحة المعالم، إذ أن الأنظمة الثلاث* التي تداولت على الحكم فرنسا بعد إحتلال الجزائر، عالجت قضية التعليم والتدريس دون برنامج أو مخطط، حيث أنه ما بين (1830-1880م) لم يكن لفرنسا سياسة تعليمية أو نموذج أو تجربة هادفة، بل إعتمدت على مجموعة من التجارب التعليمية المتتالية كالتعليم المشترك، المدارس العربية الفرنسية ومدارس البلديات المختلطة... والتي أعطت نتائج هزيلة أو ذلك بسبب إنشغال سلطات الإحتلال بعملية إخضاع مختلف نواحي البلاد لسيطرتها والقضاء عليها وعلى الثورات الشعبية التي كانت تعرفها¹ وتناقض مواقف الفرنسيين إزاء مسألة التعليم الجزائريين.

إبتداء من 1883م نضجت هذه التجارب التعليمية و تبلورت في سياسة واضحة المعالم والأهداف وذلك بإصدار قانون 13 فبراير 1883م* في عهد وزير التربية والتعليم جول فيري "Jules Ferry" والذي تنص على مجانية التعليم وتعميمه بين الجزائريين.²

ولقد توخت السياسة الفرنسية في ميدان التعليم وذلك منذ الإحتلال تحقيق مجموعة الأهداف حشدت لها الإدارة الإستعمارية جيشا من المعلمين ورجال الفكر والثقافة وعلماء

* أي النظام الملكي، ونظام الجمهورية الثانية ثم النظام الإمبراطوري.

¹ رايح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر، الجزائر، 2008، ص 131.

* القانون ما هو في الأصل إلا تطبيق لقانون 16 جوان 1881م و28 مارس 1882م المقننة للتعليم في فرنسا على الجزائر لكن مع إدخال بعض التعديلات عليها.

² بلحسين رحوي آسيا، وضعية التعليم الجزائري غداة الإحتلال الفرنسي دراسات نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، جامعة مولود معمري، ع 07، تيزي وزو، ديسمبر 2011، ص 66.

الأنثروبولوجيا وحتى القساوسة من أجل إستكمال التغلغل الإستعماري في الجزائر عن طريق غزو العقول وذلك لا يتم إلا عن طريق المدرسة.¹

ولم يقتصر التعليم الفرنسي على الشمال أو الغرب الجزائري بل وصل إلى الجنوب أيضا.

• التعليم الفرنسي في ورقلة:

لقد حظي التعليم الفرنسي في ورقلة بإهتمام السلطة الإستعمارية في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، عقب زيارة لجنة مجلس الشيوخ الفرنسية للجزائر برئاسة "جول فيري": حيث إستمعت هذه اللجنة إلى شكاوي الجزائريين وطالبوا بإلحاح كبير على تعليم أبنائهم لغتهم العربية ودينهم الإسلامي وعليه عملت السلطة الإستعمارية على تنفيذ توصيات اللجنة، حيث رصدت أموال كبيرة لبناء مدارس ابتدائية في الجزائر وشهدت ورقلة سنة 1891م أول تجربة بناء مدرسة عمومية فيها، حاول عسكري فرنسي بناء مدرسة وسكن للمعلم في الجهة الجنوبية لقصبة ورقلة، غير أن البداية الفعلية لتأسيس أول مدرسة رسمية كان سنة 1898م والتي سجل فيها حوالي 50 تلميذا² ومدرستين خاصتين، بمجموع 47 قسم موزع بين البنين والبنات وقد شهدت ورقلة هذا التطور حيث تم ما بين 1908م و 1909م إفتتاح أول قسم حرفي للبنات، وفي عام 1910م تحصل الطالب صالح بوبكر على أول شهادة ابتدائية.³

وخلال الحرب العالمية الأولى شهد التعليم توقفا مؤقتا بسبب الحرب ولم يتم إفتتاح أي قسم جديد، غير أنه عقب نهاية الحرب يذكر السيد "رواد Rouéde" في تقريره حول حالة التعليم في ورقلة، أن التعليم بصفة عامة، كان متقدما بالرغم من العطل الطويلة، والحرارة الشديدة

¹ توران إبيفون، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، مرجع سابق، ص 73.

² دوني بيلي، معالم لتاريخ ورقلة 1872-1992، تر: علي إيدر، ط02، 1995، ص 29.

³ نفسه، ص 41.

وحضور الطلبة إلى المدارس كان دائما ومنتظما بإستثناء مدرسة واحدة في قرية "تسبست" بسبب لا مبالاة أستاذ المدرسة.¹

جدول تطور حركة التعليم في المدارس العمومية بورقلة (1898-1951)²

السنوات	عدد التلاميذ	عدد الأقسام
1898	50	1
1924	75	2
1951	351	9

وفي سنة 1900م لجأ الفرنسيون إلى إنشاء ما سموه بالمدارس الخاصة يعمل على تطهيرها الآباء البيض، حيث تم إنشاء مدرسة خاصة بورقلة تضمنت 30 تلميذا وفي هذا الصدد يمكن القول أنه بدل من أن تنتشر السلطة الإستعمارية التعليم بين الجزائريين كما طالب به الأهالي تركت الجزائريين لعبت الآباء البيض لتمرير مشروعهم التصيري (التبشيري)، وزيادة على ذلك أن الهدف من إنشاء هذه المدارس هو القضاء على اللغة العربية وفرنسة الجزائريين وإبقائهم على جهلهم، وهذا ما صرح به الفرنسيون: "أن الهدف كان محو التعصب الديني والكراهية عن الطريق التعليم بالفرنسية والحضارة والتقدم وذلك لا يكون إلا بإحداث لغة مشتركة في الجيل الصاعد، وتقريبه من الفرنسيين بتبنيه نفس الأفكار ونفس المصالح".³

وفي عام 1903م أصبحت المدرسة الخاصة بالآباء البيض تعطي دروسا لعدد من الراشدين بمعدل خمس مرات في الأسبوع، وكان عدد الطلبة يتراوح ما بين 40 إلى 50

¹ درني بيلي، مرجع سابق، ص 42.

² نفسه، ص ص 29 79.

³ أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، مرجع سابق، ص 330.

تلميذ¹ وفي عهد شارل جوناك (1903-1913م) شهد التعليم في الجنوب تحسنا وتطورا ملحوظا، حيث إزداد عدد المدارس العمومية، وعدد التلاميذ، ففي سنة 1903م وصل عدد المدارس بالجنوب 29 مدرسة إبتدائية أهلية.²

• التعليم الفرنسي في واد السوف:

إن التعليم الفرنسي جاء محاولة لإستيعاب أكبر عدد من أبناء المنطقة وإعدادهم لوظائف يترفع عنها المعمر أكثر منها عملا تثقيفيا للأهالي وهذا مثل ما وصفه العديد من الإصلاحيين على أنه تعليم لا يرقى إلى تطوير الشخصية الجزائرية، حيث حاول الإستعمار دوما منذ تواجده بالبلدان العربية المراهنة عليه قصد التحكم في طبيعة مستوياته لأنه يعتبر أخطر التحديات³ بالإضافة إلى جعل هذه البلدان بمثابة المخزن الذي يمدّه باليد العاملة، حيث لا يتطلب في تحضيرها الجهد الكبير بل تتطلب مستويات متواضعة، وقد تم فتح أول مدرسة بمدينة الوادي وأطلق عليها إسم مدرسة الأهالي⁴ وكان فتحها مع بداية الموسم الدراسي 1886م⁵، لكن ما لوحظ على عدد المتدرسين أنه ظل يتزايد موسما بعد آخر، ففي الموسم الأول بلغ العدد ثمانية متدرسين جل آبائهم يشتغلون بالإدارة الفرنسية، ليزيد عددهم بعد أربعة مواسم دراسية، أي الموسم الدراسي (1889-1890م) إلى إثني عشر تلميذا ووصل عدد المتدرسين سنة 1900 إلى 278 تلميذ، حيث تتراوح أعمارهم بين الخمس إلى

¹ دوني بيلي، مرجع سابق، ص 33.

² نفسه ص 41.

³ أنور الجندي، عبد العزيز الثعالبي، رائد النهضة الإسلامية (1878-1944)، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1404هـ/1984م، ص ص 46 49.

⁴ علي غنابزية، مجتمع وادي السوف، مرجع سابق، ص 186

⁵ نفسه ص 156.

الستة عشر سنة، وأغلب هؤلاء التلاميذ تتراوح أعمارهم ما بين التسع إلى الإثني عشر سنة.¹

أما المدرسة الثانية التي أنشأها المستعمر فكانت بقريّة "كوينين" بعد ثمانية أعوام من مدرسة الأهالي بالوادي أي حوالي 1893م، غير أن وثائق المدرسة قد أُلقت أما بقمار فقد أسست المدرسة الثالثة حوالي 1903م، حيث إحتوت على ثلاثة أقسام، فكانت هذه المدرسة هي آخر مدرسة تنشئها الإدارة الإستعمارية حتى سنة 1939م، وهكذا إستمرت محاولات التقرب من الأهالي، لكن هذا التعليم ظل منحصرًا في مرحلة التعليم الإبتدائي.²

• المكتبات الفرنسية:

إن ظهور المكتبات الفرنسية بوادي السوف كان منذ الإستقلال النهائي للفرنسيين بالمنطقة، أي منذ 1882م، وهذا لكون الكتاب كان ملازمًا للفرنسيين، فهو دليلهم في التعرف على الواقع الحضاري للسكان، كما كان الكتاب يمثل الزاد لدى جميع أفراد المعمرين من الضباط وصف الضباط وبعض الجنود والعمال الإداريين ورجال الدين المسيحي، والمشتغلين بسلك التعليم والتمهين، لذا كان ضروريًا تكوين مكتبات عديدة حتى تكون في متناول كل أفرادهم إذا ما إحتاجوا لذلك وهي كآآتي:

➤ **مكتبة ملحقة الوادي:** وتضم هاته المكتبة كتب عديدة منها تاريخ الجزائر وثورتها الشعبية والتاريخ الثقافي والإجتماعي والسياسي كما كانت تحوي كتب باللغة العربية وأهمها كتاب العدوان في شكله المخطوط وغيرها من الكتب التراثية.³

¹ علي غنابزية ، مرجع سابق، ص 156.

² نفسه، ص 164.

³ نفسه، ص 164.

➤ مكتبة الحامية العسكرية بالوادي:

أنشأ الضباط الفرنسيون مكتبة خاصة بهم وهذا حسب الأختام المسجلة على الكتب، حيث كانت هذه المكتبة بمقر تجمعهم بالوادي وقد يكون ذلك المكان أشبه بالنادي، وقد شملت هذه المكتبة على كتب هامة يمكن تصنيفها كالآتي:¹

- كتب تختص بالحروب والمعارك التاريخية وكتب تختص في فن قيادة الأفواج والفرق العسكرية، كتب تتناول تاريخ الحضارة الفرنسية، كتب القصص والملاحم والسير.
- بالإضافة إلى المكتبات الخاصة التي كان المعمرون يسعون لإنشائها في بيوتهم و مكتبة الكنيسة التي كان رجال الدين القساوسة يستعملونها من أجل إغراء بعض الأهالي والإستفادة منهم لصالحهم من جهة أخرى وهذا كله في إطار حملات التبشير والتتصير.

ولعل ظهور التعليم الفرنسي في منطقة واد السوف كان ضمن نتائج مرسوم 1883/02/23م ويربط الأحداث كان لابد من إنتظار ثلاثين سنة أو ما يزيد بعد إستقرار السلطات الفرنسية بالمنطقة وتؤكد المصادر أن أول مدرسة فرنسية بالمنطقة هي: مدرسة الأهالي بالوادي المعروفة حاليا بمدرسة "ميهي بلحاج" واستقبلت أول فوج دراسي خلال السنة الدراسية (1886-1887م) وإستمرت الإدارة في توسيع دائرة التعليم الفرنسي.²

أما مدرسة الأهالي فقد أختير لها مجال مناسب لها، بحيث كانت في منطقة قريبة للأهالي في الأحياء الثلاث (الأعشاش-الصاعية-أولاد أحمد) كما أنها وسط الحي الأوربي • وقرب الثكنة العسكرية والإدارة الفرنسية مما يوفر لها الحماية في وقت الحاجة.

¹ علي غنايزية، مرجع سابق، ص 165.

² نفسه، ص ص 165 166.

• الحي الأوربي: يشمل حاليا بناءات جديدة هي متحف المجاهد، نزل سوف...

إن تغيير فكر ومظهر المتعلم في المجتمع وتأثير الأحداث المحلية والعالمية على السكان، وحصول المتعلمين على عمل ذو دخل معتبر وغير ذلك هذا كله أدى إلى تغيير نظرة المجتمع والأهالي للمدرسة والتعليم بها الفرنسي عموماً وأدى ذلك إلى إقبال التلاميذ على الدراسة بدافع من عائلاتهم.¹

- موقف سكان سوف من هذا التعليم:

من خلال تتبع لإحصاء التلاميذ المسجلين منذ إفتتاح المدرسة الفرنسية يلاحظ وجود إضطراب في عدد التلاميذ الملتحقين به خلال السنوات الأولى، ربما يعود ذلك إلى قلة الإقبال في البداية ورفض الأولياء لهذا النوع من التعليم، ويفسر ذلك ربما خوفاً على عقيدة أبنائهم، أو إنحراف تصرفاتهم، أما بالنسبة لمدرسة الأهالي بقمار* الذي سجل بها إقبال واسع أثناء إفتتاحها ب(122) تلميذاً رغم عدم توفر الحجرات حيث إفتتحت بحجرتين فقط.²

كما يلاحظ أن كل الملتحقين بالمدرسة الفرنسية ذكورا، وذلك نابع من صميم خصوصية أهل المنطقة حيث نجد مثلاً بالنسبة لمدرسة الأهالي بالوادي كان إلتحاق أول بنت بالمدرسة إلا في سنة 1927م.³

¹ علي غنايزية، مرجع سابق ، ص 167.

* قمار : بلدة عتيقة تبعد عن الوادي بحوالي 12 كلم.

² البشير مقدود، التعليم الفرنسي بمنطقة سوف خلال العهد الإستعماري بين الرفض والتأثير، مجلة المعارف والبحوث والدراسات التاريخية، مجلة دورية دولية محكمة، جامعة حمة لخضر قسم التاريخ، الوادي، ع 04، ص 169.

³ نفسه، ص 149.

تأثير التعليم الفرنسي على سكان المنطقة:

لم تبذل المدرسة الفرنسية جهدا لتحقيق الاهداف المسطرة لها من خلال برامجها المتنوعة وظهر ذلك في مدى تأثير سكان المنطقة على جميع المستويات ثقافيا-سياسيا-اقتصاديا واجتماعيا ويتضح ذلك في:¹

- خلق فئة من الأهالي متشعبة بالثقافة الفرنسية ولغتها وفكرها.
- إن إرسال بعض التلاميذ في رحلات نحو فرنسا يولد لدى البعض الإعجاب بالثقافة الفرنسية وبالتالي غرس محبة وطن آخر غير وطنهم.
- وجود هذا النوع من التعليم في المناطق الصحراوية النائية يكون له جانب من التأثير بأن فرنسا صاحبة رسالة حضارية، مما يبطل في النفوس روح المقاومة.
- قيام المدرسة بعمل إستخباراتي، ولو بطريقة "غير مباشرة" من خلال متابعة التلاميذ أو بتجميع المعلومات الخاصة بحياة الأهالي.²

¹ البشير مقدود، مرجع سابق، ص 149.

² نفسه، ص 150.

• سياسة فرنسا التعليمية في الأغواط:

بعد إحتلال الأغواط في 04 ديسمبر 1852م قامت سلطة الإحتلال بملاحقة الشخصيات البارزة والعلماء والفقهاء وتصفية الكثير منهم، وعلى سبيل الحصر نذكر إفتخار النقيب دي براي Dubrail في مذكراته بذهابه لإغتيال قاضي مدينة الأغواط.

أما ثقافيا فلم يكن الجنوب بمنأى عن المراسيم والنصوص القانونية التي أصدرتها سلطة الإحتلال في مجال التربية والتعليم، لقد مر التعليم بعدة مراحل لتلويح بعلم التبشير المسيحي وكان متحمسا لخدمة مصالح فرنسا الإستعمارية.¹

وفي سنة 1856م دشنت أول مدرسة في مدينة الأغواط وكانت أول مدرسة في الجنوب كانت في سنواتها الأولى مقتصرة على أبناء المعمرين واليهود، ثم فتحت أبوابها إلى أبناء المنطقة خاصة أبناء العائلات الكبيرة الموالية للإستعمار كما تم فتح مدرسة فرنسية أخرى سنة 1863م في كل من الأغواط وعين ماضي، ثم تم إنشاء مدرسة خاصة بالأخوات البيض la sœurs blanches وعممت في ورقلة سنة 1873م وتوقرت سنة 1880م.²

كما أسس المبشرون أنماطا عديدة للتعليم والتبشير في الأغواط مثل التعليم المهني الموجه للذكور والموجه للإناث، فقد كان الأول يشمل الجانب النظري يتضمن القراءة والخط.³

ومبادئ الحساب و التاريخ وجغرافيا أفريقيا واللغة العربية والغناء والموسيقى، أما الجانب التطبيقي فيشمل معارف في صناعة القفف والنجارة والبستنة ويغلب عليه الطابع الزراعي

¹ علايلي محمود، تر: بوعزة بوضرساية، الحركة الإصلاحية في الأغواط، وزارة الثقافة، 2008، ص ص 74 75.

² نفسه، ص 75.

³ نفسه، ص 76.

وغيرها من حرف، أما النمط الثاني فقد كان يعلم البنات فنون التدبير المنزلي وما يحتويه من أشغال الإبرة والترقيع والطبخ وأشغال الصوف والزرابي وغيرها.

كانت المدارس الفرنسية بالأغواط تابعة إداريا لوزارة الحربية إلى غاية صدور قرار 04 أبريل 1909م حيث أصبحت الأغواط تابعة إلى قطاع الجنوب، فبالتالي لم تكن مدارس بالمعنى التربوي البيداغوجي، بل كانت مؤسسات ترويض تحقق سياسة الإدماج والتبشير المسيحي.¹

كما كانت بمثابة مصيدة للعناصر المناهضة للإستعمار، وهذا ما يفسر عزوف بعض العناصر من سكان المنطقة عن هذه المدارس كما فضل أهاليهم عيشة البادية والترحال بعيدا عن أعين الإستعمار، وكانوا يصطحبون معهم في الغالب معلم قرآن أو ما يعرف في المنطقة بالطالب أو المؤدب.²

إن هذه المدارس كانت تخضع للتفتيش من قبل عسكريين قائد القطاع العسكري أو قائد المكتب العربي، كما أن بعض معلمها كانوا عسكريين في كل من مدارس عين ماضي والحويطة أما التمويل المالي فكانت الحكومة الفرنسية عن طريق الحاكم العام تمول هذه المدارس، أما عندما أصبحت الأغواط تابعة للقطاع العسكري في الجنوب سنة 1907م أضحت هذه المدارس ممولة من الضرائب المرسومة على الأهالي.

¹ الحاج ابن الدين الأغواطي، تر: أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات رحلة الحاج ابن الدين الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان والدرعية، دار المعرفة الدولية للنشر، تلمسان، 2011، ص 22.

² نفسه، ص 202.

دور الشيخ مبارك الميلي بمنطقة الأغواط:

حل الشيخ مبارك الميلي* بمنطقة الأغواط في وقت كانت تتبع فيه فرنسا سياسة القضاء على المقومات الشخصية وتجهيل الشعب للقضاء على اللغة والدين وكان الشيخ مبارك الميلي يؤمن بأن التعليم العربي بالنسبة للمسلمين هو وسيلة للتنقيف والتوعية.

بإستقراره بالأغواط عمد على أن يحتل التعليم أفضل المناصب خاصة وأن التعليم بمنطقة الأغواط كان ينحصر في المساجد والزوايا التي أصبحت مهددة بسياسات فرنسا التعسفية، فدعى إلى العلم والتعلم، وعندما نتاح له الفرصة كان يجالس بها سكان الأغواط لبث فيه روح اليقظة لإكتساب المعرفة، ولهذا دعا الشيخ الميلي لتأسيس مدرسة لتعليم الناشئة من شباب الأغواط.¹

- تأسيس مدرسة الشيبية:

غادر الشيخ محمد السعيد الزاهري مدينة الأغواط معظما مكرما طيبا، حيث لم يفارق البلدة حتى وجد من يقوم بمهمته فيما يتعلق بأمر المكتب وهو الأستاذ الشيخ مبارك الميلي² حيث قال ما كنت لأقوى على ترك هذا العمل الجليل بهذه البلدة الطيبة لولا أن أسبابا علمها عند الله وعندي لا غير قد إضطرتني إلى السفر إلى بسكرة*، التي ظفر بي المقام بها بعد ذلك، وأخرى لأنني وجدت زميلي الشيخ مبارك الميلي يقدر أن بخلفني في إتمام ذلك العمل، ولما دخل المبارك الأغواط وجد أسرة الخليفة جلول فرحات التي كان لها نفوذ شامل والشهرة الواسعة والسلطان المكين في المنطقة فقدمت له يد المساعدة والعون وأيدت جهوده بإندفاع و

* الميلي: هو الشيخ مبارك بن محمد بن رابح بن علي بن إبراهيم الميلي الجزائري لقبه ولقب أسرته الميلي لنسبة إلى مدينة ميله، نشأ بها في قرية بالبادية تسمى دوار ولاد مبارك وهو أحد أعلام الحركة الإصلاحية ومن رواد جمعية العلماء المسلمين

¹ الميلي محمد، الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني، دار الغزب الإسلامي، بيروت، 2001، ص 99.

² علايلي محمود، مرجع سابق، ص 82.

* بسكرة: تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من الجزائر تبعد عن العاصمة بحوالي 400 كلم.

كان لها الفضل الأكبر في نجاح بقائه في المنطقة التي إستعانت به على النيل من نفوذ الطرق الضارية في ربوع المنطقة، فعلم مبارك المليي القصد من ذلك غير أن وجهة نظره إغتتم الفرصة وإستغل القصد إلى حد بعيد من غير أن يظهر العداء لأحد.¹

- الدعوة لتأسيس المدرسة:

بعد أن إستقر الشيخ مبارك المليي بالأغواط وإستقام له الأمر دعا لتأسيس مدرسة لتعليم البنين والبنات ومهد لهذا العمل بالحث على التعاون على الخير وكان ذلك عن طريق محاضراته وخطبه بالمسجد، وإنهالت عليه جميع فئات الأمة لسماعه.

فمشروع مبارك الأصل هو إقامة مدرسة عربية للتعلم التي كان يأمل في إنشائها بقسنطينة إلا أنه لم ينجح، لأن القانون الذي أصدرته فرنسا في 24 ديسمبر 1904م يمنع كل جزائري من فتح مدرسة بدون رخصة، يتعرض لعقوبة السجن والتغريم، ومنطقة الأغواط تختلف عن قسنطينة إذ تعتبر خاضعة للنظام العسكري والإدارة الفرنسية، وفتح مدرسة يتطلب إلى عناء كبير ووسائل² فتعاون مع بعض المعلمين بميدان الثقافة والتعليم من الأغواطيين على تدشين مدرسة تعليمية جديدة وسجلت نفسها رسميا بذلك لمدة 03 سنوات وهي مدة تكفي لظهور نتيجة بمكتب الشيخ المليي الرجل القادر على أخذ زمام هذا المشروع بعد أن صدر الإذن الحكومي والرخصة بفتح المدرسة.³

¹ محمد السعيد الزاهري، إلى بني الأغواط، في مجلة الشهاب، ع 103، مج 03، 30 جوان 1927، دار الغرب

الإسلامي، بيروت، 2001، ص 53.

² محمد المليي، مصدر سابق، ص 121.

³ نفسه، ص 122.

- هيكلية المدرسة ومواد التدريس بها:

كانت مدرسة الشيخ مبارك في مكان حسن بالمدينة وفي حي عربي نظيف إنتقل إليها للتعليم بسرعة وإنهال عليها التلاميذ إناث وذكور وسماها الشيخ وصحبه بمدرسة الشبيبة كانت مجهزة تجهيزا حسنا بجميع الأدوات والنظم المدرسية الحديثة، ومن بين مواد التدريس التي كان يدرسها الشيخ مبارك الميلي هو النحو والفقہ والتاريخ الإسلامي، وعمل الشيخ الميلي بتزويدها بكل الكتب الدراسية بمختلف العلوم الدينية والعربية والمنطقية.¹

¹ محمد السعيد الزاهري، مرجع سابق، ص 68.

- أهداف السياسة التعليمية الفرنسية.

تهدف السياسة التعليمية إلى تحقيق ثلاثة أهداف أساسية:

تجسيد الطموح السياسي للتعليم بحيث تصبح شعوب المستعمرات موالية لفرنسا وتحبها والغرض الثاني حضاري وهو نشر الحضارة والأفكار الفرنسية، والغرض الثالث إقتصادي وهو الإستفادة من الموارد البشرية للمستعمرات، ولهذا إجتهد بعض الحكام في تطبيق السياسة التعليمية فبدأوا في تشييد المدارس و فتح الأقسام لفائدة الأهالي¹ وهو ما عبر عنه وزير الداخلية كنستون Constans في مداخلة أمام مجلس الشيوخ بتاريخ 30 ماي 1893م بقوله: "فبعد أن أنجزنا الإحتلال العسكري وفرضنا السيطرة الإقتصادية على الجزائر فإن الأمر الآن يتعلق بإحتلالها معنويًا² وسنركز على ثلاثة أهداف أساسية هي: نشر اللغة والثقافة الفرنسية، السيطرة الفكرية والمعنوية وأخيرا تكوين النخب".

1/ نشر الثقافة الإستعمارية:

هدف الإستعمار في الجزائر نشر الثقافة الإستعمارية ليس لتثقيف الجزائريين ولكن من أجل إخضاعهم للفكر الإستعماري أي الخضوع والقبول بالإستعمار ويقول جوناك³ الهدف الأساسي للمدرسة هو نشر التعليم والأفكار الفرنسية والمساهمة في التقدم والحضارة لشعوب شمال إفريقيا، كما أن للمدرسة بعدا فكريا و أخلاقيا³.

¹ شارل روبيير أجرون، الجزائر المسلمون و فرنسا، ج01، مرجع سابق، ص 876.

² نفسه، ص 865.

³ Jonnart (M.C), Exposé de la situation générale de l'Algérie, l'imprimeur de gouvernement générale, Alger, 1906, p 380.

ويقول غي بريفيلي: "كانت المدرسة الفرنسية تسعى إلى تبليغ قيم متجددة بإستمرار، وإن لم تكن قيم عصر التنوير موضوع إتفاق الجميع"¹

وترتكز السياسة الفرنسية على :

- تجهيل السكان من الجزائريين لصالح رفع المستوى العلمي للأوروبيين.
- تنصير ما يمكن تنصيره عن طريق نشر المسيحية والخط من شأن الإسلام.
- الفرنسية أو إحلال اللغة الفرنسية مكان اللغة العربية وقد وجدت هذه الأسس طريقها في ظل الإدارة الإستعمارية.²

إن نشر الثقافة الإستعمارية تتطلب القضاء على كل الأفكار المعادية له، ولهذا السياسة التعليمية كانت تهدف إلى القضاء على الشخصية الوطنية للشعب الجزائري بأبعادها المتعددة، وبالتالي القضاء على مقومات الشعب الجزائري³، في المقابل نشر اللغة والثقافة الإستعمارية، وكانت تعاونت المدارس الرسمية مع المدارس التبشيرية لتحقيق ذلك الهدف، فيقول محمد الطاهر وعلي: "مما لا شك فيه أن التعليم التبشيري يستجيب للأهداف العامة لسياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، فهو يعمل على نشر اللغة الفرنسية وتلقين مبادئها للأطفال* وهذا رغم محدودية إنتشاره"⁴.

¹ غي بريفيلي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية (1880-1962م)، تر: حاج مسعود وآخرون، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2007، ص 23.

² مصطفى الزايد، التنمية الإجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر (1920-1962م) ديوان المطبوعات، جامعة الجزائر، 1986م، ص 104.

³ نفسه، ص 104.

* كانت بعض الكنائس تفتح أبوابها لتعليم اللغة الفرنسية لأبناء الجزائريين ولا زالت توجد كنيسة بولاية أدرار تعلم الفرنسية لمن يرغب في ذلك.

⁴ محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر (1830-1904م)، مرجع سابق، ص 72.

ويعلق غي بريفيلي على إجبارية التعليم فيقول: "إن التعليم الإجباري لم يكن يرمي إلى تحقيق مقاصد طموحة بل كان يوفر لجميع الأطفال تكويناً قاعدياً يمكنهم من تلقي المعارف والقيم الضرورية".

2/ الإخضاع الفكري والمعنوي:

وجد الإستعمار الفرنسي الدافع للتوسع وإحتلال مناطق الجنوب الجزائري، وإخضاع الشعب الجزائري، لكن القادة السياسيين والعسكريين مقتنعون بأن هذه السياسة ليست الحل النهائي وإنما الحل النهائي عندما يصبح الجزائريون يمدحون ويمجدون فرنسا ولا يتم ذلك إلا عن طريق المدرسة ويقول لويس رين عن هدف السياسة التعليمية "ومن الأهداف الحقيقية التي يسعى لها التعليم والمدرسة الفرنسية في الجزائر القضاء على منبع الثورات أي إضعاف مفعول الطرق الصوفية، ولا يتم ذلك إلا بتحويل ذهنية المجتمع المسلم الجزائري، عن طريق إنشاء المدارس في كل مكان كما يرى لويس رين في ختام دراسة عن الإخوان والمرابطون¹ والمعروف أن الزوايا وشيوخ الطرق الصوفية هم قادة المقاومات الشعبية".

كتب فورتان Fortin وماسون Masson ، إقتراح حول مهمة التعليم في الجزائر "إن سكان الجزائر ليس لهم بعد إدراك الوطنية الجزائرية فبالنسبة لهم الوطن هو القبيلة، فواجب التعليم الفرنسي هو أن يعلمهم أن يقولوا نحن جزائريون".²

ويقول قيزو Guizot "لا توجد فكرة قوية عبرت العالم ولا مبدأ حضاري كبير إلا وقد مر بفرنسا" أو القول بأن "كل رجل متحضر إلا وله وطنان، وطنه وفرنسا".³

¹ عبد الحميد العموري، الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر (1880-1914م)، مرجع سابق، ص 122.

² إيفون توران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، مرجع سابق، ص 66

³ جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الإستعمار، مرجع سابق، ص 101.

إن الإحتلال المعنوي عن طريق المدرسة الفرنسية كان يهدف في آن واحد إلى إضفاء الشرعية على الإحتلال المادي وذلك من خلال:

أ- الفرنسية:

كانت هذه السياسة ترمي إليها الحكومة الفرنسية من وراء سياستها التعليمية، هي بصورة رئيسية القضاء على الشخصية الجزائرية عن طريق محو مقوماتها الأساسية لإذابتها في المجتمع الأوربي وسلخها نهائيا عن إنتمائها العربي الإسلامي وقال أحد خريجي المدارس الفرنسية أنه "عندما يتكلم الجزائريون لغتنا* يصبحون نصف فرنسيين".

ونعني بالفرنسة إحلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية بالجزائر، حتى ينسا الجزائريون لغتهم العربية وثقافتهم القومية، وكان الهدف من هذه السياسة صبغ البلاد صبغة فرنسية حتى تنقطع جميع الروابط.¹

التي تربط الجزائر ماضيا وحاضرا ومستقبلا بثقافتها العربية الإسلامية وفصلها عن شقيقتها في المغرب والمشرق العربيين، وبهذه الطريقة تصبح الجزائر أسهل إنقياد وأكثر قابلية لسياستها الفرنسية والإدماج النهائي، وكان الفرنسيون يعملون على أن تكون الجزائر هي نفسها فرنسا.²

فإعتبرها قانون 1848م قطعة وأرض فرنسية تخضع للقوانين الفرنسية وأنها إمتداد لفرنسا الجنوبية.

وكانت فرنسا ترى أن فرنسا الجزائر تعد من الأمور الحتمية والتي لا مناص منها، فقد جاءت التعليمات التي صدرت أيام الإحتلال "إن إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية

* اللغة الفرنسية الرسمية.

¹ عبد القادر حلوش، مرجع سابق، ص 63.

² نفسه، ص 63.

إلا عندما تصبح لغتنا هناك لغة قومية، والعمل الجبار الذي يترتب علينا إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي بالتدرج إلا أن يقوم مقام اللغة العربية بينهم الآن".¹

وأراد نابليون الثالث في سياسته المشهورة بالمملكة العربية أن يفتح أمام الجزائريين باب المواطنة الفرنسية²، فأصدر سنة 1865م تشريعا يحدد الوضع الجديد للجزائريين، فهم يعتبرون جميعا رعايا فرنسيين يخضعون في الخارج لحماية قنصلية فرنسا ولكنهم لا يتمتعون بنفس حقوق الفرنسيين إلا بمقتضى التخلي عن قانون أحوالهم الشخصية ويتبعون القانون الفرنسي في الأحوال المدنية³، لكن وضع الجزائريين ظل من الدرجة الثانية حتى الطرد الفرنسي من الجزائر عام 1962م.*

لقد أدت سياسة الفرنسية إلى تغيير وجه الجزائر العربي بتغييرها لأسماء المدن والأحياء والشوارع والساحات، وأطلقت عليها أسماء فرنسية كثيرا ما تحمل أسماء العسكريين والحكام المدنيين الذين حاربوا الشعب الجزائري كما أن السجل المدني الذي أنشئ في عام 1882م إعتبره الجزائريون قهرا متعمدا لأنه زودهم بألقاب وأسماء جديدة.³

وكان القضاء على الدين واللغة العربية من الأمور المستهدفة مباشرة بعد الإلغاء التدريجي للقيادات الجزائرية والأسر وتفكيك المجتمع الجزائري، وكان الحاكم العام المدني الأميرال دوفيدون من أكثر المتحمسين للقضاء على أي شكل أو مظهر من مظاهر الحضارة

¹ رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية (1930-1956م) دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م، ص 106.

² صلاح العقاد، المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، القاهرة، 1960، ص 154.

* لم يطلب هذا التشريع الجديد إلا عدد قليل جدا من الجزائريين 1600 حتى سنة 1890م.

* الإستقلال التام للجزائر وخروج الفرنسيين منها.

³ صلاح العقاد، مرجع سابق، ص 161.

الفصل الأول: السياسة التعليمية الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1880-1914م

والثقافة الإسلامية، فهو الذي صرح علنا أنه "يجب أن يمحي القاضي المسلم أمام القاضي الفرنسي، فنحن الفاتحون فلنعرف كيف نفرض إرادتنا".¹

وعلى هذا الأساس حل القضاة الفرنسيون محل القضاة الجزائريين*، كما ألغيت المجالس الإستشارية وخفض تدريجيا عدد محاكم القضاء الشرعي من 184 إلى 61 في عام 1890م.²

غير أن المحاولات الفرنسية لفرنسة الجزائريين آلت إلى الفشل، وتوضح الإحصاءات التالية ذلك، فمن مجموع خمسة ملايين جزائري تجنس منهم 1607 أشخاص وأصبحوا فرنسيين من 1865م إلى 1912م، وكان أغلبهم من الجزائريين المنخرطين في الجيش الفرنسي، فمن بين 152 جزائريا متجنسا في 1913م إلى 1916م (127 رجلا و 25 إمراة)، و 49 منهم من العسكريين، فمنذ سنة 1865م حتى 1913م كان عدد المتجنسين 1749 من بين خمسة ملايين جزائري مسلم.

والواقع أن سياسة الفرنسية كانت تسعى إلى محو الهوية العربية الإسلامية للجزائريين إنطلاقا من القضاء على مقوماتها الواحدة بعد الأخرى، عن طريق تطبيق الأساليب الآتية:³

- قوانين التجنيس.
- عملية التبشير والتنصير.
- محاربة التعليم العربي والديني و فرنسته.

¹ شارل روبيير آجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982م، ص 109.

* صدر قرار 1886م ليحد من صلاحيات القاضي المسلم ويدعم القاضي الفرنسي.

² آجرون، مرجع سابق، ص 109.

³ Méliá (j) : la France et l'Algérie, paris, 1919, p 101.

➤ إلى جانب إقتصار المعاملات الإدارية والرسمية على اللغة الفرنسية وحدها وعزل الجزائر عن الأقطار العربية الأخرى.¹

ويظهر خطر سياسة فرنسا في عدم التكافؤ بين طرفي الصراع، لأنه صراع بين طرف غالب متفوق بإمكانيات مادية جبارة و بأساليب علمية مبتكرة وغير معهودة يفرضها على طرف مغلوب هزم عسكريا واقتصاديا وسياسيا.²

يمكن إجمال الخطوط العامة لسياسة فرنسا فيما يلي:

- محاربة اللغة والثقافة العربية محاربة عنيفة.
- فرنسا التعليم في جميع مراحلها.
- اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر.
- تشويه تاريخ الجزائر والتشكيك في إنتمائه العربي الإسلامي، بل حتى في وجوده.
- إهمال جغرافية الجزائر والتركيز على جغرافية فرنسا مع إبراز عظمتها وقوتها.³

ب- التنصير:

كان الإستعمار الفرنسي في الجزائر له غايتين أساسيتين هما غزو الأرض ثم غزو الأفكار وقام بتنفيذ الغرض الأول العسكريون بينما أسند الغرض الثاني لرجال الدين* فأثناء الحملة الفرنسية على الجزائر في 1830م إصطحب الغزاة معهم رجال الدين حتى يكتمل غزوهم العسكري بالغزو الفكري.⁴

¹ Mélia (j) ,J,OP ,cit., p 101.

² د. عفيف البوني، إشكالية التعريب في المغرب العربي، الشؤون العربية، ع30، ص 66.

³ نفسه، ص 67.

* لهذا الغرض جلب دوبرومون معه 16 قسيسا لمراقبة الجيش الفرنسي.

⁴ عبد الجليل التميمي، دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس (1830-1881م)، المجلة المغربية، ع 03، 1975، ص ص 22 23.

وكان بعض العسكريين و السياسيين أي المسؤولين الفرنسيين من أنصار التبشير في الجزائر* وهذا ما يوضح ويعلل تعاون العسكريين و رجال الدين أي التقارب بين الحكومة والكنيسة من جهة والجيش والرهبانين من جهة أخرى فلقد صرح وزير الحربية الأسبق كليمون تونير: "إن ليس من الغريب أن نرى العناية الإلهية تتأشد الملك ورث سان لوي لينتقم للإنسانية و الدين والإهانات الشخصية بتمدين الأهالي وتحويلهم إلى مسيحيين..."¹

ونعني بالتصير محاولة إخراج الجزائريين عن دينهم الإسلامي وإحالة الديانة المسيحية محل الديانة الإسلامية، فبعد سقوط نابليون 1870م الذي تعاطف هو الآخر مع المبشرين في الجزائر وراحوا يتبنون سياسة تنصيرية وتبشيرية منظمة ورسمية ضد سكان الجزائر.

ففي عهدهم إنتشر التبشير إنتشارا واسعا بتأسيسهم للمدارس الدينية و خاصة في عهد الحاكم العام دوفيدون وكان هذا الأخير يحقد على الإسلام ويعدده وراء كل الإنتفاضات والثورات الشعبية المنظمة والغير منظمة التي عرفتها الجزائر، خاصة في القرن التاسع عشر، ولهذا السبب أكثر من هجوماته على الإسلام والجنس العربي بشكل عام.²

كما عمل على تقييد حرية تنقل زعماء الطرق الدينية، لأنهم ظلوا يحاولون دون فقدان الشعب الجزائري عقيدته وكيانه الروحي، و منع إعطاء رخص السفر إلى البقاع المقدسة للجزائريين للقيام بفريضة الحج في سنة 1873م معلنا أنه لأسباب سياسية لا يسمح بهذا السفر إلى المشرق"أثبتت التجارب أنهم يرجعون أكثر تعصب وأقل قابلية للخضوع لسيطرتنا".³

* أمثال جينتي دوبيسي (الوكيل المدني بالجزائر)، الملك لويس فليب، الماريشال خالي، لامور سيرر، الجنرال بيجو، دوفيدون وغيرهم.

¹ حسين الرايس، بعض جذور الإشكالية الثقافية حاليا بالمغرب العربي، الشؤون العربية، ع 30، ص 31.

² تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، مرجع سابق، ص 111.

³ Charles Robert ageron, les Algériens Musulmans et la France, 1871-1919, T₁, paris, France, 1962, p301.

لا شك أن هذه الإجراءات التعسفية التي إرتبطت بحكم دوفيدون تسفر سياسته التبشيرية التي تبناها وأعلنها بوضوح لـ لافيغري "لقد قضيت حياتي وأنا أحمي البعثات التبشيرية الكاثوليكية في كل بحار الأرض ولا يمكن أن أقبل اليوم أن تضطهد على أرض فرنسية..."¹ ووصلت حركة التصير أواخر القرن التاسع عشر إلى مناطق الصحراء مثل مدينة ورقلة والأغواط إلا أن مجهودات المبشرين في هذه المنطقة كانت خاصة في مدينتي غرداية وقريفيل* (Gueriville) نظرا لتمسك السكان الشديد بدينهم الإسلامي، ولم يلتحق بالمدارس الفرنسية إلا الأطفال اليهود في هذه المدن، والذين كانوا يتلقون بعض التعليم التريوي المهني.²

كانت الإدارة الفرنسية على أرض الجزائر حيث شرعت هذه الإدارة في التخطيط لكيفية القضاء على الدين الإسلامي والملاحظ أن هذا العمل كان يتم وفق خطة مدروسة وهو الأمر الذي يدل دلالة قاطعة على أن الإدارة الفرنسية كانت قد درست بشكل جيد الديانة الإسلامية ومدى إرتباط السكان الجزائريون لهذه الديانة، وهذا الأمر الذي جعلها تركز بشكل كبير على هذا الدين بتوظيف الحركة الإستشراقية في هذا المجال.³

ج- الإدماج:

نعني بالإدماج إذابة الجزائريين في الكيان الفرنسي العام وجعلهم يتلقون التعليم الفرنسي، ويلقون إلى الوظائف العامة وفق القوانين الفرنسية للفرنسيين ولهم نفس الميزات

¹ عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص 23.

* قريفيل Gueriville هي أولاد سيدي الشيخ.

² Mesnard.p. l'école français s'adapte aux masses musulmanes en Algérie in étude, juin, 1948, p 359.

³ إبراهيم الونيسي، البحوث في التاريخ الإجتماعي والثقافي للجزائر إبان الإحتلال الفرنسي، دار الهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 212.

الإجتماعية¹ ومن هنا يعني الإدماج إلغاء كل ما يفصل باريس عن المقاطعات الجزائرية ويترتب على ذلك أن الإدماج باب مغلق دون الإستقلال الذاتي والداخلي ودون الإستقلال التام، ونظرا لمعارضة المعمرين وبعض الساسة الفرنسيين لم تطبق سياسة الدمج العامة بين الجزائريين والفرنسيين، بل طبقت عليهم سياسة عنصرية كان الهدف منها فرنسة العنصر الأهلي و نشطت الدعوة إلى تجنيس الجزائريين.²

وتجسد الإدماج في السياسة التعليمية بإعتباره هدفا من أهدافها وعليه يتضح ذلك في أن المدرسة كانت تتيح نوعا من الإنفتاح على الخارج كعامل من عوامل إكتساب الجزائريين.³

كما إستخدمت سياسة الإدماج لطمس السيمات المميزة للمجتمع الجزائري، فحورت جميع المؤسسات الإسلامية خاصة بين عامي 1870م و 1890م، و أصبح الإدماج غاية الإستيطان مسيرة له، فلقد أراد جول فيري* إيجاد مدرسة تدعو إلى الإدماج الكلي الذي يشمل جميع الميادين وكان يرى أن التعليم هو العامل الرئيسي لتحقيق السياسة الإدماجية.

وبعد أن فشلت المدرسة و الكنيسة في الإدماج رأت الإدارة الفرنسية في إمكانية إدماج الجزائريين عن طريق إلتحاقهم بالمؤسسة العسكرية (الجيش).⁴

أما عن أهداف سياسة الإدماج كانت فرنسا تهدف إلى ضم الجزائر وتعليم الجزائريين لا يخرج عن هذه السياسة الإستعمارية، والعملية الإدماجية تهدف إلى جعل الجزائريين يقبلون

¹ عبد القادر حلوش، مرجع سابق، ص 67.

² رايح تركي، مرجع سابق، ص 110.

³ شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص 105.

* جول فيري (1832-1893م) محامي ورجل سياسة لعب دورا هاما في تنفيذ السياسة الإستعمارية الفرنسية، أصبح وزير للتعليم العمومي في الفترة ما بين 1879-1883م وخلالها أصدر القانون إصلاح التعليم القائم على المجانية والعلمانية.

⁴ عبد القادر حلوش، مرجع سابق، ص 83.

بالحضارة الأوربية في وقت قريب أو بعيد، وكانت هذه وسيلة للسيطرة الفرنسية ووضع حد لمقاومة الجزائريين والقضاء على كل عامل يساهم في إبراز الوطنية الجزائرية.¹

ولكن الموقف الأوربي المعارض للإدماج كان السبب في فشل هذه السياسة، وأيضاً الموقف الوطني الذي يمثل ميدان تجربة السياسة التعليمية الفرنسية²، فقد إعتبر الجزائريون الإدماج المدرسة الفرنسية محاولة مقنعة تحت غطاء التعليم والثقافة لطمس معالم ثقافتهم.³

3/ تكوين النخب:

سعت الإدارة الفرنسية منذ البداية إلى تكوين نخب مثقفة بالثقافة الفرنسية تخدم مصالحها حيث تكفلت بتعليم بعض الأعيان في فرنسا، فغاية إدارة الإحتلال من وراء إحتضانها لهذه المجموعة من الأطفال هي إعطاء صورة مشرفة عن فرنسا⁴ حيث رأت أن نشر اللغة الفرنسية عنصر ضروري في تكوين النخبة، فتصبح اللغة الرسمية في حديثهم وكتاباتهم كما يساعدهم في إدماجهم وفرنستهم بقيم الحضارة الفرنسية، والأكثر من ذلك تغيير نظرة الجزائريين للغة فتصبح نظرهم أن تعلم اللغة الفرنسية تقدماً، وتعليم اللغة العربية والتمسك بها تخلفاً، إن صورة النخبة في الفكر الإستعماري جاءت في برنامج التعليم في سنة 1898م، أن غاية التعليم هو إعداد أبناء الأهالي لأن يكونوا رجال ذوي أخلاق مجيدة منفتحين متبصرين مستعدين للإقتراب منا بواسطة إستعمال لغتنا يدركون مدى التقدم الذي سيحصلون عليه لتحسين أحوالهم المعيشية، حيث صرح جونا^{*} أمام المجلس الأعلى في

¹ يحي بوعزيز، سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية (1830-1954م)، مرجع سابق، ص 36.

² نفسه، ص 37.

³ أحمد بن داود، المقاومة الثقافية للإستعمار الفرنسي لكل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم (1920-1954م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران 01، 2016/2017، ص ص 43 44.

⁴ جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الإستعمار، مرجع سابق، ص 13.

^{*} شارل جونا^{*} Charles Jounart أنتخب نائباً في البرلمان الفرنسي وكان لا يزال شاباً حدثاً، وما فتئ يتقدم حتى تقلد أهم مناصب الدولة، تولى منصب الوزير والسفير عدو مرات، وأنتخب عضو في الأكاديمية الفرنسية سنة 1923م.

17 جوان 1910م "إن المدرسة الابتدائية في فرنسا حجر الزاوية في هيكل الجمهورية تشكل في الجزائر حجر الأساس في عملية إرساء هيمنتنا".¹

مهمة هذه النخبة هي تجسيد التبعية الفكرية للإستعمار والخضوع له "إن الهدف الذي يرمي إليه الإستعمار... هو تكوين نخبة مزيفة من المثقفين مقطوعة عن الجماهير الشعبية بحث يشعر أولئك المثقفون بأنهم غرباء بين ذويهم فتقطع صلتهم بأبناء البلاد"²، وتقدم إحصائيات أن عدد المتحصلين على شهادات في المدارس الفرنسية: فعدد الشهادات الإبتدائية التي أحرزها سنة 1883م إلى 1913م كما يلي: 4.991% شهادة للتعليم الإبتدائي الخاص، 2.614% شهادة في التعليم الإبتدائي العادي أي مجموع 7.605% شهادة.³

¹ شارل روبيير أجرون، الجزائر المسلمون و فرنسا، ج 02، مرجع سابق، ص 558.

² محفوظ سماتي، الأمة الجزائرية نشأتها و تطورها، تر: محمد الصغير البناني وعبد العزيز بوشعيب، دار دحلب، الجزائر، 2007، ص 206.

³ شارل روبيير أجرون، مرجع سابق، ص 575.

الفصل الثاني:

التعليم التصيري في الصحراء الجزائرية 1880-1914م

- مدخل مفاهيمي للتصير والتبشير.
- وضعية التعليم التصيري في الجنوب الصحراوي.
- المؤسسة التصيرية في واد ميزاب.
- التعليم التصيري في الهقار "دي فوكو" نموذجا.

تمهيد:

إن التنصير في الجزائر لم يكتف في الشمال فقط، فقط رامت خيوطه إلى الصحراء الجزائرية التي أراد السيطرة عليها، ليتمكن بذلك من السيطرة على الجزائر بأكملها وتكون ملكا له، وقد مس معظم المناطق في الصحراء الجزائرية، وفي بحثنا إختارنا منطقة واد ميزاب والهقار التي أردنا من خلالها إظهار كيف وصل إليها التنصير، وماذا فعل فيها التنصير من مساس من مآساتها الدينية، أو تحريف عقائدها الدينية الإسلامية وتحويلها إلى مؤسسات مسيحية من خلال المنصرين وذلك عن طريق التعليم التنصيري أو التبشيري، ومن خلال المنصرين الذين وفدو إليها من آباء وأخوات البيض، وكذلك المؤسسات التي سخرتها الحكومة الفرنسية في خدمة هذا الغرض (المشروع التنصيري).

➤ التعليم التبشيري في الصحراء الجزائرية:

- مدخل مفاهيمي للتنصير و التبشير

1- مفهوم التنصير:

أ-المفهوم اللغوي: جاء في لسان العرب إن التنصير هو الدخول في النصرانية، ونصره أي جعله نصرانيا وتنصر أي دخل في دينهم¹.

وكلمة تنصير تعد مصدرا للفعل نصر(بتشديد الصاد) كذلك (نصر) أصل اشتقاق كلمة النصرانية وتقول المعاجم اللغوية "نصره تنصيرا جعله نصرانيا"².

وقد وردت لفظة التنصير في الحديث الشريف بصيغة المثنى في قوله أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم " كل مولود يلد على الفطرة فأبواه يهودانه (أي يجعلانه يهوديا) أو ينصرانه (أي يجعلانه نصرانيا) وهذا هو المعنى اللغوي لكلمة التنصير³، ثم يقول أبو هريرة وأقرؤوا إن شئتم قوله تعالى"فطرة الله⁴ التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله" (سورة الروم-30-) بمعنى أن جميع الناس يولدون على فطرة الإسلام ثم يحولهم آبائهم عليها والدعوة إلى النصرانية ومحاولة دفع الناس الدخول فيها بشتى الوسائل، ومختلف المغريات⁵ وهو قيام الإرساليات بتنصير منطقة معينة وإنشاء كنيسة تؤول رعايتها تدريجية للسكان.

¹ ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، ج 08، المؤسسة المصرية العامة، مصر، د ت ، ص ص 4440 4441.

² عبد الرزاق عبد المجيد أأارو، التنصير في إفريقيا، ب ط ، الإدارة العامة للثقافة والنشر، مكة المكرمة، ع 217، 2008، ص 13.

³ محمد عثمان صالح، النصرانية والتنصير، مكتبة ابن القيم المدينة المنورة، 1989، ص 31.

⁴ محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الفكر، د ط ، د ت، ص 66.

⁵ مصطفى الخالدي، عمر فزوخ، التبشير والإستعمار في البلاد العربية، ط 5، 1983، ص 34.

وتشير المصادر اللغوية في العربية إلى أصل لفظة نصارى تنتسب لقرية الناصرة¹.

ب- المفهوم الإصطلاحي:

التنصير هو الدعوة إلى دين النصرانية و محاولة نشر عقيدته في أنحاء العالم بالوسائل والأساليب المتنوعة وخاصة في المجتمعات الإسلامية².

ويقول نذير حمدان بأن التنصير هو إتجاه كنيسي تحويلي في الدعوة والعمل المنظم في داخل البلاد وخارجها، لصرف الناس إلى النصرانية أو فرقة فيهم، وخاصة المسلمين.

وتعريف آخر يقول أن التنصير هو حركة صليبية إستعمارية منظمة تهدف إلى إخراج المسلمين عن دينهم، وفق منهج مدروس متكامل، قائم على إستغلال جميع الوسائل المادية والمعنوية المتاحة في جميع المجالات³.

2- مفهوم التبشير:

أ- المفهوم اللغوي:

بشر وأبشر، يقال بشره وأبشره تبشيرا من البشرى "وأبشروا بالجنة التي كنتم بها توعدون" (فصلت:30)، والتبشير هو إخبار الناس بخبر يكون فيه سرور ولا يكون إلا بالخير، وإن كان بشر فهو مقيدا كقوله تعالى "فبشره بعذاب أليم" (لقمان:07)، والبشارة عند النصرانية يقصد بها الإنجيل والبعثة التبشيرية هي هيئة دينية تدعوا للنصرانية⁴.

¹ الناصرة: من أقدم المدن الفلسطينية، موطن مريم العذراء غرب بحيرة الطبرية، يعود بنائها للكنعانيين العرب، وهي منذ 1948 محتلة من طرف الصهاينة وما زالت حتى اليوم.

² إبراهيم بن مسعود المالكي، النشاط التنصيري في منطقة الخليج أهدافه وأبعاده وسبل مقاومته، مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العقيدة، جامعة أم القرى، 1429 هـ، ص 147.

³ نذير حمدان، الغزو الفكري المفهوم- الوسائل-المحاولات، ج 01، مكتبة الصديق، د ب، د ت، ص ص 93 94.

⁴ إعداد جماعة من كبار اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، جامعة الدول العربية تونس، 1988، ص ص 156 157.

ب- المفهوم الإصطلاحي:

عند المسلمين تعني كلمة تبشير تبليغ تعليم النصرانية على ما هي عليه للمسلمين وغير المسلمين باختلافهم وتحريفاتها، والتبشير إسم أطلقه رجال الكنيسة على المسيحية وعلى أعمالهم التي يقومون بها لتنصير الشعوب غير نصرانية خاصة المسلمين، عن طريق ما يسمونهم المبشرين الذين يجندون أنفسهم للقيام بهذه المهمة بإتباع وسائل عن طريق التعليم المنهجي أو الخدمات الصحية والإجتماعية¹.

والتبشير أصبح وسيلة تضليل وشر يعتمد عليها الإستعمار² وهذا ما حدث في الجزائر، وعموما التبشير هو مؤسسة تنصيرية تعتمد على منهجية متكاملة ذات شعب متعددة إجتماعية سياسية، إقتصادية، فكرية، تعليمية تهدف إلى نشر العقيدة المسيحية³.

- العلاقة بين التنصير والتبشير:

مما سبق يتضح التشابه الكبير إلى درجة التطابق بين المدلول الإصطلاحي لكل من التنصير والتبشير⁴ كما أنهما يرميان إلى نفس الهدف وهو أساس كل منهما وهو تحويل الأمم بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة عن دينهم، أما من جهة أخرى فإن المصطلحين يختلفان من حيث المعنى اللغوي فالتنصير يعبر عن مضمونه فهو من الفعل نصر والتنصير هو الدخول إلى النصرانية، أما التبشير فهو في الأصل من الفعل بشر والتبشير هو الخبر الذي يفيد السرور وهذه مغالطة وبما أن مصطلح التنصير يعبر عن مضمونه فإنه

¹ عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة ومخاوفها، التبشير، الإستشراق، الإستعمار، ط 8، دار القلم، دمشق، ص 53.

² محمد عبد الكريم الجزائري، الدعوة الإسلامية والإستعمار والتبشير و الصهيونية، شركة الشهاب، الجزائر، د.ت، ص 19.

³ عبد الرزاق عبد المجيد أيارو، مرجع سابق، ص ص 15 16.

⁴ عميراي وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، 1844 1916، مرجع سابق، ص 101.

قد تم إستبداله بمصطلح التبشير الذي أصبح المصطلح الأكثر تداولاً كنيسيا وإعلاميا وحضاريا¹.

- وسائل التنصير في مجال التعليم:

أدرك المنصرون خطورة التعليم وأهميته في الوصول إلى غاياتهم فاتخذوا من هذه الوسيلة الشريفة سبيلا للوصول إلى أغراضهم الدنيئة²، بما أن التعليم هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي ثم يكونها كما يشاء، إن هذا الحامض أشد قوة و تأثير من أي مادة كيماوية، وهو الذي يستطيع أن يحول جبل شامخ إلى كومة تراب³، وذلك عن طريق: إنشاء المدارس يقول الطاهر وعلي "إن تمكن المنصرين من بناء مدارس تنصيرية في منطقة وعرة المسالك كمنطقة القبائل أو في الصحراء هو أكبر نجاح حققه في مجال تأسيس نظامهم التعليمي..."⁴، ومن مناهج التعليم التنصيري في الجزائر التعليم المهني الذي كان على الأشكال التالية: التعليم المهني الموجه للذكور، والتعليم المهني الموجه للبنات الذي يقوم على تعليم فنون التدبير المنزلي كالخياطة والطبخ وكذا أشغال الصوف والسلال والقفف، وصناعة الزرابي وكانت هذه المدارس منتشرة في الجنوب الصحراوي مثل مدارس التكوين المهني في غرداية و التي كانت تشرف عليها الأخوات البيض كذلك في بسكرة والأغواط وغيرها⁵.

- أهداف التعليم التنصيري: لقد كان للتنصير أهداف كثيرة ومتنوعة ضد العالم الإسلامي من أجل إضعافه، وإخراجه من ديانته وهي كالتالي:

¹ عميروفي وآخرون، مرجع سابق، ص 99.

² حنيكة الميداني، مرجع سابق، ص 56.

³ محمد الطاهر عزوي، الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1999، ص ص 31-32.

⁴ محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر، 1830-1904، مرجع سابق، ص ص 222-223.

⁵ سعيد عليوان، مرجع سابق، ص 638.

- 1- القضاء الإسلام في نفوس المسلمين وتحويلهم إلى مسخ لأدمغتهم ولا يبقى من الإسلام إلا إسمه، كي لا يبقى الإسلام هو العقبة القائمة في طريق التنصير في إفريقيا.
- 2- تشويه الإسلام في نظر الشعوب الأوربية والعالمية.
- 3- القضاء على كل ما يمد بصلة للدين الإسلامي خاصة اللغة والتاريخ الإسلامي بهدف إبعاد المسلمين عن القرآن الذي عجزوا عن القضاء عليه¹.
- 4- القضاء على وحدة العالم الإسلامي التي تجمع آمال الشعوب الإسلامية وتساعد على التخلص من السيطرة الأوربية، لذلك إستغل منصفون عامل التنصير من أجل كسر شوكة هذه الوحدة.
- 5- التمهيد للإستعمار.
- 6- العمل على نشر التعليم الغربي والأفكار الغربية بين المسلمين بعيدا عن صبغتها الدينية.
- 7- جعل الجزائر أمة مسيحية أي فرنسا أخرى جديدة².
- 8- المد النفوذ المسيحي إلى ما وراء الصحراء، والتركيز على التعليم وعلى المدرسة، فمن خلال المدرسة يمكن للمبشرين أن يحتكوا بالسكان والتغلب على المشاكل الرئيسية التي تواجههم كالتعصب الديني، والتركيز على فئة الأطفال وذلك لسهولة التأثير عليهم وتلقينهم مبادئ النصرانية كونهم بم يتشبعوا بعد بدين أجدادهم (الإسلام)³.

¹ مصطفى الخالدي، مرجع سابق، ص 87.

² سعدي مزيان، النشاط التبشيري للكاردينال لافيغري في الجزائر (1867-1892)، ط 1، دار الشروق، الجزائر، 2009، ص 289.

³ محمد الطاهر وعلي، مرجع سابق، ص 79 80.

➤ **وضعية التعليم التنصيري في الجنوب الصحراوي.****الإستعمار والتعليم التنصيري في الصحراء الجزائرية:**

لا يمكن الحديث عن التنصير دون ربطه بالدوافع الإستعمارية وهذا ما نلمسه من خلال تصريحات السلطة الزمنية الممثلة في الحكومة الفرنسية، أو السلطة الدينية الممثلة في البابوية، والكل كان يعمل في إتجاه واحد والكلام على بعض الأنشطة التي تحدد العلاقة القائمة بين الكنيسة والإدارة الإستعمارية، وكذلك على أدوار بعض رجال الدين¹.

والواقع التاريخي يؤكد أن المنصرين قدموا خدمات جليلة لتمكين الإستعمار، بل وفي تعبد الطريق نحو التوغل داخل الصحراء، وإن الأمثلة على ذلك كثيرة ولكن يكفي تلك التصريحات لنوايا رجال الدين، لقد عبر عن هذه الحقيقة البابا بيويس التاسع (pielx)² في رسالته إلى الكاردينال لافيغري بشأن أولئك الأطفال الذين جلبهم إلى ملاحظه، فأيد و بارك هذا وتبين هذا من صميم الرسالة النصرانية، كما بين أهميته في التمكين للإستعمار وأن التبشير والإستعمار وجهان لعملة واحدة.*

ولم يكن تدعاة التنصير وحدهم يعملون على تنصير الجزائريين، بل مؤيدون من طرف الإستعمار ماديا ومعنويا يقول الزاهري "...والأمر الثالث الذي لا ريب فيه أيضا أن الإستعمار يعين الملحددين على نشر الإلحاد بين المسلمين، ويحمي أيضا جماعة المنصرين ويعاونها بالمال، وربما أمدّها بإعانات مالية من أوقاف المسلمين".³

¹ محمد مرغيت، سياسة التنصير ودورها في المخطط الإستعماري الفرنسي، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة أدرار، العدد 04، سبتمبر 2017، ص 129.

² السعيد عليوان، التنصير وموقفه من النهضة الحضارية في الجزائر، دكتوراه، ج 02، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2000-2001، ص 652.

* البابا بيويس التاسع: هو البابا الرابع و الخمسون بعد المائتين، كان على رأس الفاتيكان من 1878-1903.

³ محمد السعيد السنوسي الزاهري، ألف وسبعمئة مسلم يرتدون عن دينهم ويعتقون النصرانية الكاثوليكية، مجلة الشهاب، ع103، 20 جوان 1927، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، م ج 03، ص 66.

وبالرجوع إلى مسيرة الإحتلال مذ أن وطئت أقدامه أرض الجزائر نجد أن السلطة الزمنية والدينية والروحية غير محددة لدى الحكام الفرنسيين في الجزائر ولدى رجال الدين في فرنسا الذين لهم علاقة بالشؤون الخارجية، يقول سعد الله "فمنذ تقرير العقيد (كلير مون تونير)* الذي قدمه إلى شارل العاشر لإقناعه بالموافقة على الحملة ضد الجزائر، فقد كان الدافع الديني قويا في أذهان الفرنسيين، ووعدهم بأن الحملة ستحقق إنتصار الكنيسة الكاثوليكية على الإسلام واستعادت المسيحية إلى إفريقيا كما كانت قبل الإسلام"¹.

وهذا الأمر هو ما نلمسه في سلوكيات القادة العسكريين الذين كانوا متحمسين للنصرانية من خلال مواقفهم من الإسلام ومساجد المسلمين والأوقاف، فلقد أعطى الجنرالات والحكام أولوية خاصة إلى رجال الدين الذين كانوا أوفياء في خدمة الإحتلال.²

لدى نرى الكثير من المبشرين وعلى رأسهم دوفوكو كانت له علاقة واسعة مع المسؤولين العسكريين والذي كان له الدور في إحتلال مناطق واسعة بين شمال إفريقيا والمناطق المتاخمة للصحراء، حيث تذكر المصادر عن السلطات الفرنسية لما قررت التوسع في الجنوب الجزائري أكثر صاحبت معها دوفوكو الذي كان له علاقة مع بعض أعيان التوارق من الوصول إلى تمناست وجانت عام 1909.³

* كلير مون تونير، هو عقيد في هيئة الأركان الفرنسية، كلف بالتحضير للحملة ضد الجزائر كما كلفه دي بورمون بكتابه أول بيان باللغة العربية.

¹ أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 06، 1830-1954، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 106.

² محمد مرغيت، مرجع سابق، ص 103.

³ عميرواي أحميدة و آخرون، مرجع سابق، ص 124.

كما قام لافيغري بتأسيس حركة تصيرية مسلحة هي جمعية إخوان الصحراء المسلحين* التي أسسها في بسكرة سنة 1891 وقد زعم مؤسسها أن تهدف إلى محاربة بيع العبيد والرقيق في إفريقيا، وللعقل أن يتعجب من حركة تدعيم محاربة بيع الرقيق وهي تنتمي إلى حضارة إسترقت شعوبا بأكملها واستعبدت قارات بأسرها، كانت اللافتة الظاهرة لهذه الجمعية هي محاربة بيع العبيد، لكن الحقيقة غير ذلك فقد كان الهدف منها حماية المنصرين والحفاظ على حركة التصير في الصحراء بالسلاح، بعد ما قام سكان الجنوب بقتل جماعة من المنصرين الذين أسأؤوا للدين الإسلامي واستفروهم في عقيدتهم كالأب بولمي والأب مينوري والأب بوشو، كما كانت تهدف حركة إخوان الصحراء المسلحين إلى إستكشاف الصحراء وتسهيل وصول العسكريين وبسط نفوذ الفرنسيين في أعماق الصحراء.¹

وفي تقرير أعدته باحثتان جزائريتان أن المنصرين تغلغوا في الصحراء وفي الجنوب الجزائري، وصاروا يشاركون الأهالي أكلهم وشربهم ويتحدثون لهجتهم بغية تنصيرهم، فنسبة المتمسحين في منطقة تميمون الواقعة في الجنوب الجزائري بلغت نسبة 05% بزيادة 03% مقارنة بالسنوات الماضية.²

* إخوان الصحراء المسلحين frères armés du sahaara أسسها لافيغري سنة 1891 تهدف إلى حماية المنصرين نتيجة هلاك الكثير منهم في الصحراء وكذلك مهمتها فتح الطريق أمام الإحتلال لبسط نفوذه في المنطقة.

¹ سعدي مزيان، النشاط التبشيري للكاردينال لافيغري في الجزائر، 1867-1892، مرجع سابق، ص 298.

² نفسه، ص 299.

سياسة فرنسا التعليمية البربرية في الجنوب من خلال التعليم التصيري:

تقوم سياسة فرنسا البربرية كما خططها " دوفوكو" ومدير مدرسته من المستعمرين على الأساس الذي ذكرناه وهو الفرنسية على طريق التصير و لهذا الغرض فلا بد من تحقيق ثلاث شعب تعمل متواصلة فيما بينها لغرض واحد.¹

الأولى: مقاومة المحاكم الشرعية وإحياء ما يدعونه من أعراف قبلية كيفما كان أمرها، لأن ذلك في نظر المبشرين المستعمرين هو الوسيلة للوصول إلى جعل الناس يقبلون قانونا مدنيا متطورا نحو القانون الفرنسي.

الثانية: القضاء على اللغة العربية بخلق المدرسة الفرنسية التي يقع التعليم فيها بالفرنسية، ومنع تلامذتها من الكلام بالعربية.

الثالثة: الحيلولة دون إتصال سكان المناطق البعيدة عن المدن بالفقهاء وحفظ القرآن، والقضاء على الكتاتيب والمدارس القرآنية والإكثار من مراكز التبشير ومن الكنائس، حتى يحل الراهب محل المرابط وغلق المحاكم الشرعية في الطوارق، وتدكالت وتوات.²

حيث إمتد المشروع التصيري إلى مدينة البض والأغواط وبسكرة و القليعة وإمتد إلى بني عباس وتمنراست والهقار وبداية المشروع أو النشاط التصيري في القسم الصحراوي كانت مع لافيجري التي كانت طموحاته التصيرية متجهة إلى أوساط إفريقيا، وإستقرار جمعية الآباء البيض بالإقليم الصحراوي كانت إبتداءا من الأغواط.³

¹ سعيد عليوان، مرجع سابق، ص 653.

² نفسه، ص 654.

³ سعدي مزيان، مرجع سابق، ص 29.

ولقد إتخذ لافيغري من بسكرة بوابة لنشر المسيحية في الصحراء الجزائرية، وهذا لأن بسكرة لها علاقة وصلة بإسلامية الجزائر التي حاول لافيغري محوها فهي موطن إستشهاد البطل عقبة بن نافع الفهري، وإعترافا من السلطات الفرنسية لخدمات لافيغري للمسيحية فقد قامت بوضع تمثال له في أحد الساحات في الولاية واضعا التاج اللاهوتي على رأسه وشاهرا للصليب في وجه الصحراء¹ ومن أشهر المدارس التي فتحها لافيغري نجد المدارس في كل من ورقلة و بسكرة وغيرها من ولايات الجنوب².

ولقد كان لمركزية ورقلة أربعة قساوسة، كما كانت تملك دارا للأيتام، ومدرسة يتردد عليها حوالي 70 تلميذا وعدد من الكبار، وكان لها أيضا مصحة إستشفائية وورشة للنسيج وأخرى للنجارة، حيث كانت الإدارة الفرنسية تحميهم وتمدهم بالمساعدات مقابل تقديم معلومات إستخباراتية عن القوافل التجارية والزوار وغير ذلك من التحركات في المنطقة³.

- مدارس التعليم التبشيري والتنصيري في الصحراء:

يدرج التعليم التبشيري والتنصيري في الجزائر خلال فترة الإحتلال ضمن التعليم الحر، وقد وضعت فصول خاصة في قوائين و مراسيم التعليم سنة 1883-1892، ومرسوم 1906، وقد إستخدمت الكنيسة التعليم كوسيلة لنشر المسيحية، كما يقول عبد العزيز الكحلوت "إن التعليم في مدارس الإرساليات التبشيرية إنما هو وسيلة إلى غاية فقط، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح و تعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحيين وشعوبا مسيحية، ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه...فإننا لا نردد حينئذ في أن نقول إن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى المسيحي إلى مدى علماني محض... ومثل هذا العمل

¹ عبد القادر قوبيع، الحركة الإصلاحية في منطقة الزيبان و واد ميزاب، 1920-1954، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة بن يوسف بن خدة، بوزريعة، 2007، ص 95.

² أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1860-1900، ج 2، ط 2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2000، ص 160.

³ أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 06، مرجع سابق، ص 130.

لا تقوم به الجمعيات التبشيرية التي تسعى إلى أهداف روحية فقط¹، أي أنشأت الإرساليات التبشيرية ومدارس ومؤسسات تعليمية، من أجل خدمة التبشير والدعوة للنصرانية.

فإمتداد الحركة التنصيرية في الصحراء ما هي إلا إمتداد للإستعمار وتمهيد الطريق له للتوغل أكثر في إحتلال الصحراء²، غير أن الهدف الحقيقي من تأسيس هذه المدارس هو حماية المنصرين في الجنوب الجزائري، كما تم إنشاء مراكز في كل من غرداية تمنراست وأدرار وبني عباس في الجنوب الغربي³.

ورغم جهود المبشرين في محاولة تنصير الجزائريين في الجنوب وخاصة الطوارق منهم من خلال مراكزهم ومدارسهم إلا أن محاولتهم باءت بالفشل، والنتيجة كانت معاكسة للتوقعات، حيث تمسك الجزائريين للإسلام رغم شعبيته في الكثير من المناطق.

إن عجز الآباء البيض والأخوات الكاثوليك عن تنصير أية نسبة تذكر من الأهالي هو تغلغل الدين الإسلامي والنفوذ الروحي للطرق الصوفية في المجتمع الإسلامي⁴.

¹ عبد العزيز الكحلوت، التنصير والإستعمار في إفريقيا السوداء، ط 02، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، لبنان، 1992، ص 103.

² نفسه، ص 103.

³ نفسه، ص 654.

⁴ نفسه، ص 654.

➤ المؤسسة التنصيرية في واد ميزاب

- نشاط الآباء و الأخوات البيض في واد ميزاب.

- تنصيب الآباء و الأخوات البيض في ميزاب:

وصل الآباء البيض إلى ميزاب و بالضبط إلى قصر غرداية يوم 15 جانفي 1884 ولم يجدوا مأوى إلا منزل إكثروه من يهودي يسمى إسحاق بن داود في حي اليهود الواقع في الجهة الغربية من القصر، وكان الإسرائيليون عند رؤية الآباء في وسطهم، وبالعكس فإنهم وجدوا إستقبالا مزعجا نوعا ما من السلطات الفرنسية.¹

بدأ الآباء نشاطهم بشكل مباشر في 24 جانفي 1884 وذلك بتحويل منزلهم إلى مدرسة مما أدى إلى ضغوطات من القائد الفرنسي، ونظرا لكون المنزل مهدد بالإنهيار بحث الآباء عن ترخيص لشراء أرض أدت إلى تهرب القائد الفرنسي، وبعد شهر من المحاولات ومع تحول القائد في أفريل 1886، أعطت الموافقة على بناء المنزل الجديد في جبل بابا صالح بجانب البريد القديم* في 01 جويلية لكنهم بقوا في حي اليهود إلى غاية رحيلهم منه في 03 فيفري 1887.²

أما الأخوات فيرجع وصولهن إلى غرداية في 27 ديسمبر 1892 وهن الأم جوزيفين Joséphine والأخت لويز Louise والأخت كلوتيد Clotide، والأخت من كنيسة القديس لوك، وكان بانتظارهن الآباء البيض.

¹ الحاج محمد الحاج إبراهيم، المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية القرن 19، "ميزاب والهقار نونجا"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تاريخ الحديث والمعاصر قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 02، 2011-2012، ص58.

* كان برج للمراقبة بجانب مقبرة بابا صالح.

² حاج محمد حاج إبراهيم، مرجع سابق، ص 60.

وقد أقامت الأخوات البيض في بيت صغير في شارع عفافرة بقيت الأخوات سنتين في زقاق بالعفافرة، وفي هذه الفترة عام 1895 بنى مستشفى القديسة سانت مادلين في تيضفت* ليقمن الأخوات في جناح مخصص لهن في مستشفى في 22 أكتوبر 1894.

وفي سنة 1902 في شهر ماي قام الآباء نوات Nouet و لوماتر Lemaitre و دفيد David بشراء مسكن للآباء البيض في حي باب الراعي بوسط المدينة، الذين أقاموا فيه عيادة وقسم لإزالة البعد بين المدرسة القديمة في بابا صالح وأحياء الميزابيين، وفي الحال بحثوا عن مسكن للأخوات في الغابة وقد أقامت الأخوات مؤقتا في 29 جوان في منزل في سكن يسمى البئر.*

ولم يقتصر الآباء على الإقامة في غرداية، بل رغبوا الإقامة في بني يزقن* عندما إكتروا دارا ووقف الشيخ أطفيش موقفا معارضا جريئا ضدهم وأمر بسد بابها إن هم باتوا فيها¹ وفي 10 جانفي 1914 تقدمت جماعة بني يزقن بشكوى للسلطات الفرنسية ضد قيام المنصرين منذ منتصف ديسمبر².

* تيضفت: هو المركز الثقافي للوثائق الصحراوية حاليا وهو مقر الأسقفية.

* بجانب الموضع الحالي للمركز الثقافي للوثائق الصحراوية في حي تيضفت والذي كان تابعا لهم.

* بني يزقن: بالمزابية آت يزجن تعتبر رابع قصر من حيث التواجد تأسست سنة 720 هـ/1321 م، وقيل سنة 1347 وقيل عن أصل التسمية نسبة لأحد القبائل البربرية وقيل أنها كانت تحمل نصف سكان واد ميزاب ويطلق عليها بالمزابية إزجن يعني النصف بالعربية.

¹ يوسف بن بكير الحاج السعيد، تاريخ بني ميزاب دراسة إجتماعية وإقتصادية وسياسية، ط 02، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1427هـ/2006م، ص 164.

² نفسه، ص 210.

➤ ميادين النشاط من خلال التعليم التصيري:

1/ مدارس التعليم العالي:

لقد أنشأ الآباء البيض مدارس التعليم العام ومدارس للتكوين المهني، فبعد استقرار الآباء البيض في غرداية بحي اليهود في 14 جانفي 1884م . اهتموا فوراً بالتعليم كان همهم الوحيد، ورغم كونهم غير متساكنين جيداً إلا أنهم حولوا منزلهم إلى قسم في 23 جانفي 1884م. استقبل في بداية الأمر 15 طفلاً من اليهود والعرب ليبلغ عددهم 20 تلميذاً في 24 جانفي 1884م وفي مارس بدأ الميزابيون يتوافدون عليه واحداً واحداً بتحفظ شديد حيث أخذوا المقاعد الخلفية.¹

- حيث كانت البدايات الأولى للتعليم صعبة جداً حيث عارضت السلطات الفرنسية فتح مدرسة الآباء حيث رغب القائد ديديه *Didier* فتح مدرسة خاصة به، كما حاولت الهيئات العرفية المتمثلة في هيئة العزابة* والشيخ أطفيش* تحويل الميزابيين عن مدرسة الآباء² وحيث اعتبروا هذه المدارس محرمة وكل من يتصل بها يعتبر من المنبوذين³.

¹ حتى محفوظ، الإرساليات التصيرية في الصحراء الجزائرية، غرداية نموذجاً (1875-1916) نيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة غرداية، 2013-2014، ص 90.

* العزابة: هي الطبقة الأولى في ميزاب من حيث الإكبار و الإحترام و الطاعة كونها الهيئة الدينية المسيرة لكل كونيديرالية الميزاب ويعود تأسيسها إلى أوائل القرن الخامس هجري على يد الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي النفوسي.

* أطفيش: وهو شيخ وعالم من علماء الإباضية الذي رد على حملة التصير.

² حتى محفوظ، مرجع سابق، ص 90.

³ نفسه، ص 90.

وفي 23 فيفري 1885م إفتتحت السلطات الفرنسية بواسطة قائدها أول مدرسة لائكية* في بيت لضيوف غرداية حيث طلب القائد لها 60 تلميذا ونتيجة لرفض السكان إرسال أبنائهم أصدرت السلطات الفرنسية أمرا بإجبارية التعليم الذي بسبب مواجهة قوية من الميزابيين، الذين لجئوا إلى تعويض أبنائهم بأطفال من السود واليهود وغيرهم بدفع المال لهم، حيث اعتبروا الذي لا يرسل أبنائه إلى المدرسة من فئة الأغنياء، كما قام بعض الآباء بأخذ أبنائهم إلى مكان نشاطهم في الشمال، أو عند أصدقائهم لكي لا يعودوا إلا في سن 14 أو 15.¹

بعد تغيير القائد في أبريل 1886م أعطيت الموافقة على بناء المنزل الجديد باب صالح في 1 جويلية 1886م الذي إستقروا فيه في 3 فيفري 1887م وفي هذه الفترة عرفت مدرسة الآباء البيض شجارات يومية بين التلاميذ اليهود و الميزابيين، الذين لا يكتفون بسبب بعضهم البعض، بل يصلون إلى الضرب وكان التلاميذ اليهود يتبعون سياسة إخلاء المدارس البلدية، والذهاب إلى مدرسة الآباء لعزل التلاميذ المسلمين.²

* المدرسة اللائكية: هي التي أطلقها المنصرون على المدرسة الرسمية أو البلدية.

¹ حتى محفوظ، مرجع سابق، ص 91.

² نفسه، ص 91.

لقد مرت سنوات التعليم في مراحلها الأولى بصعوبة بـ15 تلميذا، وبعد 10 سنوات بلغ حوالي المائة، لكن الذين يواظبون على الحضور يوميا لا يتعدى 75 مسجلا¹ نظر عدم تقييد وتساهل الآباء والإلتحاق بالمدرسة البلدية² وفي سنة 1897م بلغ عدد التلاميذ 30 تلميذا فقط، لرفض تأهيل اليهود للدراسة في المدرسة نظرا للمناوشات التي تحصل بينهم وبين الميزابيين.

عرفت المدرسة توافد الميزابيين منذ سنة 1900م ليصل الرقم إلى 40، مما جعل الآباء البيض يخصصون أبوين كأستاذين، وفي 30 مارس 1901م قفز هذا الرقم إلى 91 سجل منهم 56 ميزابي، لكن المواظبين على الحضور بلغ 66 تلميذا.

لتسهيل الإتصال مع السكان قام الآباء البيض بإنشاء عيادة قريبة من السوق في شارع الباب الجديد (بن رستم حاليا) في سنة 1902م، كما إستأجروا منزلا في "باب الراعي" أقاموا فيه قسما في أوساط الميزابيين لإزالة البعد بين المدرسة القديمة وأحيائهم الذي بدأ في إستقبال التلاميذ في 18 أكتوبر 1903م.³

¹ حتى محفوظ، مرجع سابق، ص 91.

² الحاج سعيد، مرجع سابق، ص 164.

³ حتى محفوظ، مرجع سابق، ص 93.

قام الآباء البيض بمغادرة الحي اليهودي نهائياً في أبريل 1904م حيث تم بيع ملكيته إلى "داود حايم" للإستقرار في "باب الراعي" الذي إشتروا فيه قطعة أرض أخرى بجانب "باب حواشة" في 4 أكتوبر 1904م، ورغم ذلك إلى أن الدراسة مرت بفترة صعبة بمتوسط 35 تلميذ الذين يحضرون يومياً، بعدد قليل من الميزابيين الذين لا يستمرون في الدراسة لأكثر من سنتين أو ثلاثة لقيام عائلاتهم بإرسالهم إلى الشمال لتعلم التجارة، وفي 1907م إرتقت المدرسة من 80 إلى 100 تلميذ رغم إكتفاء الآباء بتدريسهم الفرنسية والعربية فقط.¹

وفي فترة الحرب العالمية الأولى مرت المدرسة بمرحلة صعبة، نظراً لتجنيد الكثير من الآباء كما أثرت هذه الحرب على التدريس، لذا إخفض عدد المتدربين إلى 46 طفلاً.

وقد أجبر الآباء على غلق مدرستهم في سنة 1917م، بفعل الضغط المزدوج اللاتينية، وعدم سماع دعواهم المرفوعة على المزابيين لكن مع مرور الوقت فتحت المدرسة مع أرقام قياسية إذ إحتوت على 80 طفلاً كلهم تقريباً ميزابيين.²

حيث جهز الآباء البيض حديقة لتقديم دروس في الفلاحة كما إنداب ثلاثة أساتذة لائكيين* وهم قنادة سالم والطيب زاي، وعدون محمد مما أدى إلى إرتفاع نسبة المتدربين.

لقد كانت العملية التعليمية تتم في مقر البيض في حي تيضفت الذي كان مستشفى القديسة "مادلين" سابقاً، وكانت المستويات التعليمية تتمثل في المستوى الإبتدائي والتكميلي، حسب الأب "ليدو" كما أسس الآباء إكمالية بغرداية في سنة 1956.

¹ حنى محفوظ، مرجع سابق، ص 93.

² نفسه، ص 94.

* الأساتذة اللاتكيون: هم الأساتذة الجزائريون غير المنتمون إلى جمعية الآباء البيض.

لم تخلوا العملية التعليمية من الطابع التصيري، حيث كان الآباء يقدمون دروسا في التربية الروحية أو الأخلاق وتسمى "Le leçons de morale" وهذه المادة تقوم بتعليم القيم، كإتقان العمل والصبر والتسامح بإعتماد على تعاليم الإنجيل في تدريسها.¹

أما المدارس التي تشرف عليها الأخوات البيض فقد وجهت خصيصا لتعليم شريحة معينة هي فئة الأطفال، دشنت مدرسة جديدة التي بنيت تحت رعاية مريم العذراء المدرسة بحضور السلطات المدنية والدينية، تتضمن المدرسة القسم التصيري إلى نهاية المرحلة الابتدائية.²

2/ مدرسة التكوين المهني:

لقد أسس الآباء البيض مدارس التكوين المهني موجهة للذكور تحت إشرافهم، والإناث تحت إشراف الأخوات، فلما إستقرت الأخوات في أول أمرهن في غرداية في بيت صغير في شارع(عفافة) في شهر جانفي 1893م جهز بعض فتيات الحي لإنطلاق معمل للخياطة في مسكن لا يبعد سوى أمتار من إقامتهن كان يستقبل حوالي 40 فتاة أغلبهن من المذابيح يتعلمن فيه الخياطة والغزل والنسيج.³

إنتقلت الأخوات لسكن في جناح من المستشفى العسكري، منذ أن حول المستشفى من "البرج" إلى "تيضفت" في سنة 1900م.

وتابعن العمل في المعمل الصغير للخياطة، وفي سنة 1902م تم نقله إلى مستشفى الأخت تيفوناني Theophonie، الذي بدأ فيه الخياطة بإحتشام.

¹ حتى محفوظ، مرجع سابق، ص 95.

² نفسه، ص ص 96 98.

³ الحاج السعيد، مرجع سابق، ص 165.

شهدت سنة 1912م تبديل المسكن بين الأخوات و الآباء الذين نقلوا مسكنهم و مدرستهم إلى "تيضفت"، والأخوات نقلن عملهم في 15 ديسمبر 1912م في "باب الراعي" الذي قامت فيه الأخوات بإنشاء مركز للتكوين المهني يضم عدة أنشطة منها الخياطة، الطرز صناعة الصوف الطبخ ومواد تعليمية عامة، يضم المركز قاعدتين كبيرتين لصناعة الزرابي، وثمانية قاعات للأنشطة الأخرى على مساحة واسعة وهو يتكون من طبقتين.¹

وقد إستقبلت الأخوات بعض اليتيمات الصغيرات الأتي أقمنا في الغرفة الكائنة في السطح التي كانت مصلى للآباء البيض.

كانت الأخت "ليا مادلين بنكلوس" تتكفل بمعمل البنات وتشرف على 50 بنتا بين 10 و15 عام ، والبنات لا يتعلمن سوى النسيج، لكن الأخت تحاول أن تعلمهن دروس في التربية التي تأخذ أكبر قسط في البرنامج اليومي الذي يبتدأ وينتهي بالصلاة: الصلاة الربانية. أعمال في التوبة. أعمال في المحبة وبعض الأدعية المكونة باللغة العربية من الأسقف نوي Nouet.

كما كانت الأخوات يعلمن البنات الأغاني بالعربية تحت إشراف الأخت تيريز Thérèse، التي تُولف لهن الأغاني في كل مناسبة وفي أعياد المنصرين (السادة-الآباء - الأمهات).²

وكانت البنات يضلن في المركز كامل اليوم من الساعة السابعة صباحًا إلى الخامسة مساءً مع استراحة لساعتين بين الحادية عشر والواحدة بعد الزوال، ويستمر ذلك كامل الأسبوع ماعدا يومي الأحد والجمعة.

¹ حتى محفوظ، مرجع سابق، ص 98.

² نفسه ، ص 99.

أما المعمل الأخير فهو عبارة عن ملجأ يتكون من 45 إلى 50 بنت من 3 إلى 11 سنة وقت دخولهن إلى المعمل، حيث طلبت الأخوات البنات الفقيرات للمدرسة وتتكفل الأخوات بالتعليم التربوي الإبتدائي. الذي يدرسن فيه التدبير المنزلية، الخياطة، الحياكة، كما يتعلمن الفرنسية-القراءة-الكتابة-الحساب.¹

ولقد إنتبه المنصرون إلى إجتذاب الأطفال والأولياء بالجوائز حيث ما إن تنتهي السنة التعليمية حتى يقام حفل ختامي توزع فيه الجوائز، وهذا مما لم يحدث قبل، حتى صار ذلك حديث العامة في تلك الأيام² كما كانوا يأخذون الأطفال في المنتزهات إلى الواحات وتوزع القندورات على التلاميذ الذين إرتادوا المدرسة بشكل منظم خلال الفصل، وتوزع على المنظمين مناديل، وكان يحضر حفلات التلاميذ أحياناً القيادة العسكرية التي كانت تعترف بأن مدرسة الآباء البيض أقوى من مدرسة المكتب الغربي، حيث يقول العقيد 'ديدي': "ليس هناك إلا مدارس الجمعيات الرهبانية القادرة على إعطاء التربية المثلى".³

¹ حنى محفوظ، مرجع سابق، ص ص 100 101.

² الحاج محمد الحاج إبراهيم، مرجع سابق، ص 83.

³ نفسه، ص 83.

➤ المنصر دي فوكو في الهقار "لمحة حول شخصية دي فوكو":

مولده ونشأته: ولد شارل دي فوكو (charles de Foucauld) في 15 سبتمبر 1858 بمدينة ستراسبورغ في فرنسا، وقد نشأ بها يتيماً، حيث توفي والده في سنة 1864 وفي طفولته فكفله شقيقه وجده لأمه الذي كان ضابطاً فرنسياً، فتأثر به دي فوكو كما تأثر بأسلافه الذي كان منهم رهباناً، خدموا الكنيسة الكاثوليكية وقد ظهر هذا التأثير خاصة في شبابه عندما كرس حياته لخدمة المسيحية.¹

تلقى تعليمه الإبتدائي في أسقفية سانت-أربوقاست (Saint-arbogast) بمدينة ستراسبورغ ثم بثانوية أمبريال بمدينة نانسي إلى سنة 1870 حيث توقفت الدراسة بها بسبب الحرب الفرنسية-الألمانية ثم واصل تعليمه بثانوية ناسيونال National التي ظل بها إلى أن حصل على شهادة البكالوريا، وقد كان أول تقرب له بالكنيسة سنة 1872 بكنيسة نانسي حيث يقول دي فوكو في رسالته إلى الجنرال سيسبيال (Susbielle) بتمنراست 08 سبتمبر 1915 (...وفي نفس الكاتيدرالية (La Cathédrale) بمدينة نانسي تناولت القران لأول مرة في سنة 1872 حيث استقر المقام بجدي في مدينة نانسي بعد حرب سنة 1870).²

بعد حصوله على شهادة البكالوريا، انخرط في الحياة العسكرية حيث التحق بمدرسة سانت سير (Saint cyr) وفي سنة 1876 وقد مثلت هذه المرحلة أصعب مرحلة في حياة دي فوكو، حيث بسبب إهماله وسوء تصرفاته تعرض خلال إقامته بهذه المدرسة العسكرية إلى (45) عقوبة و (47) إيقاف وكانت رتبته 333 من 386.

¹ د. عميرايي أميدة و آخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، 1844-1916، مرجع سابق، ص111.

² نفسه ، ص 112.

وفي سنة 1878 إلتحق بمدرسة سومير (saumur) للخيالة وفي سنة 1880 أرسل إلى الجزائر ضمن فرقة عسكرية وكانت هذه أول مرة يسافر فيها إلى بلد عربي.¹

عاد دي فوكو إلى الجزائر سنة 1883 ليجعلها نقطة بدء وعودة في رحلته إلى المغرب، ثم يرجع إليها سنة 1885 فزار مدن عديدة في الجنوب الجزائري، كما زار تونس ومنها عاد إلى فرنسا سنة 1886م.²

وفي سنة 1886 أخذ دي فوكو طريق التدين، ووضع نفسه تحت إمرة الرئيس الديري هوفلان (Hoflan) فعمده وتخلّى عن كل أملاكه، ودخل ضمن تنظيم "الترابست" تحت إسم الأخ "ماي آلبير" وأمضى سنوات 1890-1896 في دير الشيكلي في الإسكندرونه بسوريا، ثم عاد إلى سطاوالي في الجزائر.³

نظم "دي فوكو" في سنة 1890 إلى إحدى المجموعات الدينية "دام دوناج" في لارداش وتسمى بإسم الأخ ماري ألبريك فأصبح يمارس الأعمال الشاقة لتطهير نفسه، فكان لذلك ولرحلته لأرض فلسطين وسوريا الأثر في حياته الروحية ولقد إستفاد دي فوكو أيضا من إقامته لمدة سنتين في روما في دراسة علم اللاهوت.⁴

لقب دي فوكو في 9 جوان 1901 كاهنا من طرف مونتي بحضور بوني⁵ و بشهور قليلة سافر إلى الجزائر، ليستقر في الصحراء الجزائرية لمدة 15 سنة أي من سنة 1901 إلى سنة 1916 وهي سنة قتله بأمر من الحركة السنوسية. ترك دي فوكو مؤلفات تنوعت بين كتب وقاموس، ورسائل، وترجمات.

¹ Marie andrè.L ermite du grand. Désert .le père de foucould imprimerie fournir Toulouse 1973.p.7.

² René bazin.charles de foucould. (Explorateur du Maroc ermite de Sahara).Libraire plan-Nourrit Inp.éd.Paris 1921.p.38.

³ Marie Andrie.op.cit.p11.

⁴ René Bazin. Op.cit.p.38.

⁵ Ibid. P.38.

مؤلفاته:

1- كتاب Reconnaissance et itineraire au maroc صدر سنة 1888م.

2- كتاب نحو لغة تيفيناغ.*

3- قاموس فرنسي- ويبلغ مجموع صفحاته 1450 صفحة.

4- نصوص طوارقية مترجمة إلى اللغة الفرنسية، تشكل مجلدين من الشعر والنثر الطوارقي.

وتعتبر مرجع للأكاديمية البربرية في فرنسا.¹

- الرحلة إلى الجزائر سنة 1901-1916:

لقد كانت أول زيارة لدي فوكو للجزائر سنة 1880 ضمن فرقة عسكرية فرنسية للخيالة، حيث مكث عدة أسابيع بين مدينتي عنابة وسطيف ثم رجع مرة أخرى سنة 1883، حيث كانت الجزائر نقطة إنطلاق وعودة في رحلته إلى المغرب وفي 1885م عاد إلى الجزائر مرة ثالثة ومكث فيها عدة أسابيع، زار خلالها عدة مدن منها: الأغواط، غرداية، ورقلة، تقرت ثم مدينة قابس بتونس وعاد منها إلى فرنسا في 23 جانفي 1886م.²

- العودة إلى الجزائر سنة 1901:

نزل دي فوكو بالجزائر العاصمة عند الآباء البيض* ثم اتجه إلى وهران ثم إلى عين الصفراء عن طريق القطار، ثم أكمل الطريق حتى وصل إلى بني عباس* 28 أكتوبر 1901م.

* لغة تخاطب الطوارق هي "تماشيق" وكتابتها هي "تيفيناغ" تحتوي على نسبة كبيرة من حروف اللغة الفينيقية.

¹ محمد الطاهر عزوي، الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي مرجع سابق، ص.99.

² عميرواي أحميدة و آخرون، مرجع سابق، ص.119.

* بني عباس: إحدى بلديات ولاية بشار وهي دائرة منذ 1956 تضم عدة مجتمعات سكانية تقع في الجنوب الغربي للجزائر.
* الآباء البيض: هي جمعية تنصيرية ومسيحية أسسها لافيغري في 06 أوت 1868 وهي فرقة لخدمة الأيتام في الدار المرعبة.

السلطة العسكرية الفرنسية والجزائريين في الصحراء، وعاملا مساعدا في توطيد العلاقة بين المدنية الأوربية والجزائريين.¹

باشر دي فوكو مهامه التبشيرية في بني عباس حيث تجلت في تقديم الخدمات للسكان خاصة أن المنطقة كانت نائية، في تعليمهم ما يجهلونه حيث لم تمر أربعة أشهر من إقامته في بني عباس حتى وقف على معظم النواحي المادية والمعنوية والمشاكل التي كان يعاني منها الأهالي، ربما هذه المشاكل والظروف الصعبة للسكان، هي التي ساعدت دي فوكو في إختراقهم وتحقيق ما سطره من أهداف.²

وتمكن دي فوكو من إقامته في بني عباس من شراء بعض العبيد فعمدهم وجعل بعضهم خدما له، وكان أول شخص عمده في بني عباس هو طفل إسمه عبد المسيح عمره ثلاث سنوات ونصف وقد كان ذلك في 12 جويلية 1902 كما إشتري في 15 أكتوبر 1902 عبدا إسمه بول "paul" فجعله خادما له وفي 21 جانفي 1903 فتسمى بإسم بيار "pierre".

لقد كان لتعيين هنري لا برين* "henri la perrine" قائدا أعلى على المنطقة وعلى واحات الصحراء الجزائرية ولزيارته لصديقه دي فوكو أثر في تحقيق حلم دي فوكو وهو التوغل في الجنوب فكان له ذلك سنة 1904 حيث دامت الرحلة 08 أشهر برفقة خادمه بول "paul" و صديقه لا برين "la perrine" و جنود الفرنسيين الذين جابوا قبائل الصحراء

¹ أحيدة عميروي، من ملتقيات التاريخية الجزائرية، مطبعة البحث، قسنطينة، الجزائر، 2000، ص ص 169 170.

² نفسه، ص 121.

* هنري لا برين: ولد في نوفمبر 1860 تخرج برتبة ملازم من المدرسة التطبيقية للفرسان سنة 1878 وسنة 1880م، أصبح ملازم أول ثم ضابط السرية في السنغال سنة 1885م.

المختلفة ولقد ترك لابرين صديقه دي فوكو عند قبائل الطوارق* في مدينة عين صالح لمدة ثلاثة أشهر¹.

- علاقة دي فوكو بالطوارق:

بدأ دي فوكو في هذه الفترة في عين صالح بين قبائل الطوارق عمله كمستكشف، مثل ما فعل سابقا في المغرب حيث يسجل المعلومات عن الأهالي ويرسم المخططات ويتعلم اللهجة المحلية لغة تخاطب الطوارق "تماشيق" يقول دي فوكو (إن سكان المنطقة كسكان المغرب، يتحدثون لهجتهم المحلية البربرية أكثر من تحدثهم اللغة العربية، هذه اللهجة هي اللغة القديمة لشمال إفريقيا...) لقد تعلمتها سابقا ونسيتها، وإنني بصدد تعلمها لأتمكن من التحدث مع الجميع.²

ولنتفهم إذا كان دي فوكو على صواب فيما ذهب إليه يجدر بنا أن ندرس صلته الإنسانية بالطوارق فنلاحظ أولا أنه كان يعتبرهم بسطاء صليبيين ومرحين فيشبههم بالأطفال، ووصفهم بصفات المزارعين وهي المثابرة والإقتصاد، والتحفظ وهم في نظره غير متمسكين بالإسلام تمسكا كبيرا، إذ قال "إن الطوارق ليسوا مسلمين إلا بالإعتقاد والإسم" لذا بدا له من اليسير ترويضهم وتمدينهم لكن هذه الصورة كانت غير صحيحة.³

إنقل دي فوكو إلى غرداية أواخر سنة 1904 إلى جانفي 1905 حيث مكث عدة أسابيع عند الآباء البيض، قد يكون تباحث معهم حول مشروع التنصير لسكان الصحراء،

* الطوارق: أو التوارق مصطلح يطلق على القبائل البربر للصحراء الكبرى والطوارق نسبة إلى طرقهم في الصحراء وتوغلهم فيها ومنهم من نسبهم إلى طارق بن زياد وهم يسكنون في بلاد الهقار.

¹ شاوش حباسي، من مظاهر الروح الصليبية للإستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962م، دار الهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997، ص 38.

² René Bazin. Op.cit.p.146.

³ الشيخ أبو عمران، شارل دي فوكو في تمنراست 1905-1916، مجلة الثقافة، ع 76، سنة 13 شوال 1403هـ/جويلية-أوت 1983، مجلة تصدرها وزارة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 1983، ص 83.

خاصة أنه قد إلتحق به إلى بني عباس قسان الأمر الذي مكن هؤلاء الثلاثة من مضاعفة النشاط المسيحي في الصحراء الجنوبية.¹

ولقد عاد "دي فوكو" إلى الساورة حيث واصل دراسته للهجة المحلية للطوارق وترجمة الأناجيل ليتيسر لهم، ثم عاد إلى بني عباس مرة ثانية ليزاول مهامه السابقة، بعدما قطع معظم الصحراء إنفار، أولوف، أدرار، غرداية، تميمون ... وغيرها.²

- الإقامة في تمنراست سنة 1905 إلى سنة 1916:

قرر "دي فوكو" الإنتقال إلى قلب الصحراء تمنراست وهو سائر نحو الهقار إلتقى بمن كان ينتظره في الرحلة وهم كل من إميل فليكس قونتي*، والكاتب بيارميلي* والجغرافي شيدرا* وكان قائد الرحلة النقيب "دينو" (Dinox) الذي يعمل تحت أوامر قيادة لابرين وقد قدمه إلى "الأمنوكل" الجديد على طوارق الأهقار المدعو موسى المقيم في تين زواتين، وكان هذا "الأمنوكل" قد وقع معاهدة صداقة مع الفرنسيين في سنة 1904 في عين صالح.

ولما إشتراك "دي فوكو" مع "لابرين" في الجولة الثانية قرر التوغل في قلب الهقار أين دخل "وادي تمنراست" حيث لا مدينة ولا محطة تجارية في قلب أهقار "دق-غالي" القبيلة الرئيسية التي تستوطن تمنراست في قلب جبال الهقار³ فبنى فيها ديرا أو بالأحرى رواقا مسقوفا عرضه 1.75 و طوله 6 أمتار ولم يكن في هذا الوادي غير بعض الفلاحين يعيشون في أكواخ من القش ولهم بعض الزراعة المعاشية من شعير وخضر، وإستطاع في

¹ René Bazin. Op.cit.p.147.

² Ibid. p147.

* له كتاب Mission au Sahara. Sahara Algerien.Htones.1905.

* كاتب وروائي له كتاب Images exotiques.et Françaises.1912.

* من أبحاثه Géologie.du Sahara central.1912.

* خلف "أنبيبي" الذي إنسحب نحو الطوارق ناجر، وقبله كان الأمنوكل أهيتاغل.

³ أبو عمران الشيخ، شارل دي فوكو في تمنراست 1905-1916، المرجع السابق، ص ص 84 85 .

مدة قصيرة إكتساب بعض قبائل الطوارق كونفدرالية الأهقار بعد أزمة حمى ضربت المنطقة، مستغيبًا بالحامية العسكرية (بشيء من الضمادات وحبوب العلاج، و بعض المطهرات...) فكان أن إكتسب زعيم الطوارق كل الأهقار "موسى أق أمستان".*

تحول دي فوكو إلى مركز للأخبار و المعلومات، و ضاعف العمل على جمع المعلومات السياسية و العسكرية مع الحامية العسكرية، حيث كتب إلى الحامية « أعتقد أنه يجب تشديد مراقبة المرابطين أكثر من المعتاد و ليس على اللذين هنا، و لكن على اللذين يأتون من الإقليم الطرابلسي إلى هنا، إن الأتراك يرسلون بمرسولين من طبقات دنيا معبأين بمعلومات و أخبار مشوشة بحثًا عن تهييج الأهالي ». .

عكف "شارل دي فوكو" على ترجمة أجزاء من الإنجيل و الكتاب المقدس إلى لسان "التمهاغت" و كان ممن زاره هناك المترجم "موتيل تيسكي" و عمل على أخذ بعض القواعد التي يعمل بها "دي فوكو" و قد شرح في مراسلاته الكثيرة كيف أنه يمضي الساعات الطوال في ترجمة النصوص للتمهاغات و يحدث بها الناس و عن الإنجيل و الرب.¹

كما عمد إلى مراسلة و لقاء الآباء البيض المنصرين اللذين تتبع الصحراء مهمتهم، و حرصهم على إرسال الأخوات البيض* إلى الطوارق لتلتقي بالمرأة الطارقية، و خلال ذلك كان يتجه إلى القيام و يذهب إلى (الحراتين) و يقف معهم في أعمالهم و يجلس إلى النساء و يقدم لهن الهدايا مثل صنارات الحياكة الطويلة و يشتري صبغة الشعر لهن و بعض مواد التجميل و بالمقابل يأخذ اللغة عنهن و يجمع ما يضيفه إلى رصيده.²

* موسى أق أمستان: آخر زعماء الطوارق، إستقر بتمنراست و كان صديقًا وفيًا لدي فوكو.

¹ أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص ص 84 85.

* الأخوات البيض: جمعية تنصيرية مسيحية و سميت بالأخوات البيض نسبة إلى اللباس أو الزي الذي يلبسونه أعضائها المثابة الزي العربي، هو جبة طويلة بيضاء من الصوف.

² René Bazin. Op.cit.p.321.

كما عمل على إكتساب المرأة هناك تحت قاعدة "من إكتسب قلوب النساء أصبح سيفاً" و مع ذلك و ثبات كان يسير نحو هدفه قائلاً عن نفسه « حياتي متعلقة بنسبة كبيرة بالعلاقة مع من يحيط به و تقديم كل الخدمات اللازمة التي أستطيعها بقدر ما الصداقة تزداد، أتكلم كل يوم أو تقريبا دائما وجهها لوجه عن الرب الطيب لكل واحد على حسب قدرته متقدمين بتأن و حزم».¹

وقد قال فيه لا برين: « إن وجوده هناك ينوب عن قطعة عسكرية بأكملها » فقد حول بعض من حارب التوغل في سنة 1902 من قبائل "دق-غالي" و "كلا-غيا" إلى الإستقرار و مجابهة السنوسيين و القبائل المتحالفة معهم.²

بدأ "دي فوكو" متقد الإحساس و الحماس نحو الدعاية بالإنجيل عند الأهالي في الجزائر، خاصة في الصحراء بالخصوص أين يعتبر سكانها هم المهملون و المشركون لحالهم.³

أخذ "دي فوكو" العزم على العمل التنصيري منطلقا من قاعدتين:

أولاً: دراسة لغة و عادات و ثقافة الأهقاريين، حيث جمع مادة غزيرة من اللغة و الثقافة الطارقية، معتمدا على كبار السن و العجائز بالخصوص، فجمع المفردات و الأمثال و الأشعار و العادات و التقاليد، و حفظ الكثير عن هذا الشعب المحارب و الشادي الجوال، و نشر هذه المصطلحات و المفردات سنة 1908 ثم حضر لقاموس ضخم فرنسي-تمهاغتي*

¹ الحاج أمحمد، الحاج إبراهيم، المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية القرن 19 م، (ميزاب و الأهقار نموذجا)، مرجع سابق، ص 105.

* دق-غالي: هي القبيلة الرئيسية التي تستوطن تمنراست في قلب جبال الهقار.

² حباسي شاوش، من مظاهر الروح الصليبية للإستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962، المرجع السابق، ص 38.

³ أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص 86.

* اللسان الذي يتحدث به الطوارق يعرف بـ التماغت.

زاهر بالمعلومات التاريخية و الأثنوغرافية* و الجغرافية للبلد، ثم أرفقة بمجموعة من النصوص و ثلاثة آلاف قصيدة طارقة مترجمة إلى الفرنسية¹.

ثانياً: التنصير من القاعدة إلى القمة، حيث كان يتجول قرب المخيمات السكنية محاولاً الدخول في علاقات مع الأطفال فيقدم لهم السكر و الحلوى، لكنه لم يسجل نجاحاً في المسعى أول الأمر، و كان يستنتج من خلال ردة فعل الأطفال كيف كان الرأي العام تجاه الفرنسيين².

علق "دي فوكو" آمالاً عريضة على تنصير الطوارق الذين يراهم «يؤمنون بالله على حرف فلا يتبعون رمضان بالصوم ولا يقومون بالصلاة على ما إعتاد المسلمون»، و كان يكتب في كراس له توصيات مما يجب أن يقوله "للأمينوكل" موسى في كل مرة، و الذي من خلاله تمر الرسالة إلى من يعيش تحت لوائه و منها:

➤ تشجع على الإستقرار.

➤ دافع ضد العرب الأجانب الذين يأتون بالإستقرار هنا لإبتلاع البلد و لقد فعلوا كذلك.

➤ أول واجب هو حب الله من الأعماق قبل كل شيء، و ثانياً تحب أي إنسان كما تحب

نفسك و هذا الحب لمن معك يستتبعه قانون ثلاثي متلازم هو الأخوة و العدالة (أمارن)*

و الحرية (العبيد)*.

➤ إذا جاء باحثاً في: كيف يفكر الرسول و يتكلمون؟ سأقرأ له الإنجيل.

* الخاصة بعلم الأجناس و الأعراق.

¹ إسماعيل العربي، تاريخ الرحلة و الإستكشاف في البر و البحر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص344.

² إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص345.

* أمان: النبلاء من القبائل.

* يعني به تحرير الرقيق.

إِذا حدثت إلى الضابط حاول أن تذهب إليه و تحدثه على إنفراد و بدون مترجم، و إنشرح له و حدثه بصراحة كصديق حميم.¹

بقي في أذهان "دي فوكو" منذ سنة 1908 ضرورة التفكير بجدية في إنشاء منظمة أو مؤسسة تهتم فعليا بتطوير الروح التبشيرية في المستعمرات الفرنسية، و نستلهمه في ذلك فكرتين:

1- علينا القيام الآن بمجهود ضخم من أجل التنصير الفعلي و عدم ترك الرعايا الفرنسيين جانبا.

2- علينا بجمعية ليست للتوسلات و الصلوات فقط بل إهتمامها الرئيسي الكفار و الروح التنصيرية.²

و قد أشار شارل دو فوكو أثناء إقامته هذه بتمنراست إلى أمرين هما:

1- إقامة النظام الفرنسي و الحضارة في إمبراطوريتنا بالشمال الغربي الإفريقي.

2-التنصير و لم تميز أوروبا في ذلك العصر بين الإستعمار و التنصير.³

نهاية دي فوكو في الصحراء الجزائرية:

بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى 1914 م، فكر دي فوكو في العودة إلى فرنسا غير أنه أقر البقاء في تمنراست لمواصلة مهامه التبشيرية و الاستعمارية، و تعتبر الرسائل* التي دارت بينه و بين صديق له في هذه الفترة ديسمبر سنة 1914م إلى نوفمبر سنة 1916م مصادر تاريخية لهذه المرحلة في الجوانب السياسية و العسكرية في الجنوب الجزائري.

¹ إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص350.

² الحاج أحمد الحاج إبراهيم، المرجع السابق، ص 105.

³ نفسه، ص 106.

* بفضل جهود"دي فوكو" تأسس مركز بريدي تلغرافي فصار البريد يصل ما بين تمنراست و باريس خلال 22 يوماً، و في سنة 1908، تأسس مركز آخر على بعد كلم من تمنراست.

كانت السنوسية* في هذه الفترة ذات نفوذ واسع على الحدود الليبية-الجزائرية بمناسبة بعض القبائل التارقية مثل أزجير، فكان هجوم السنوسية عام 1916م قويا ضد القوات الفرنسية المتمركزة في جانت* و انتهت الهجمات بقتل دي فوكو في 1 ديسمبر 1916م و دفن هناك¹ و كتب على ضريحه Le père charles de.j.èsus vriconte.de foucoud massacre à tamarasset le 1 decembre 1916.

و خلاصة القول فإن الراهب "شارل دي فوكو" شخصية استعمارية مزدوجة الأدوار، غريبة الأطوار، فبعد الحياة الحافلة بالمجون و التقلب في شتى الوظائف بما في ذلك العسكري اختار الاستقرار في منطقة الهقار.

فهو يعتبر من المنصرين الفرنسيين الذين اضطلعوا بدور كبير في خدمة الاحتلال الأوروبي في البلاد العربية، لا سيما الاحتلال الفرنسي في الجزائر و تحديداً في صحرائها، حيث عده المؤرخون من الطلائع التي مهدت لاحتلال الصحراء و نشر المسيحية في إفريقيا.

* السنوسية: هي حركة إصلاحية ذات طابع إسلامي توجد في ليبيا و السودان تأسست في ليبيا. في القرن التاسع عشر ميلادي على يد الشيخ محمد بن علي السنوسي المؤسس للدعوة السنوسية و هي حركة تدعو إلى الإجتهد، محاربة التقاليد.

* احتلت من طرف الجيش الفرنسي سنة 1909 بقيادة نيجر(Niger).

¹ عميرواي أحميدة و آخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية.1844-1916، المرجع السابق، ص126.

الفصل الثالث:

نتائج و إنعكاسات السياسة التعليمية الفرنسية:

- نتائج السياسة التعليمية الفرنسية.
- الإنعكاسات السلبية و الإيجابية.
- موقف أهل الجنوب الصحراوي من التصير.

1/ نتائج السياسة التعليمية الفرنسية على الجانب الجزائري:

كان فشل الفرنسيين واضحا فيما يتعلق في بقية أفراد الشعب الجزائري و أطفاله، رغم الجهود التي بذلها المعلمون في مختلف الأوساط بدعم من ضباط المكاتب العربية¹ الذين حاولوا التقرب من السكان فوزعوا الملابس على التلاميذ الفقراء، ووفروا حاجيات المدارس المختلفة و أعطوا الجوائز للمتفوقين منهم، و أخذوهم إلى المسارح للتأثير عليهم فقد كانت الاستجابة جد هزلية بين الجزائريين، رغم كل المغريات، و قد تفوق الجزائريين من تلك المدارس التي كانت تعلم اللغة الفرنسية، و اعتبروا ذهاب أبنائهم إليها مسخا لشخصيتهم العربية الإسلامية، و أن ذلك سيؤدي بأبنائهم إلى الامتزاج بالكفار.

كما أن قلة الوسائل المادية للجزائريين جعلهم ينقطعون أو لا يلتحقون أصلا بهذه المدارس، وأما الذين التحقوا فلم ينقطعوا عن متابعة دروس حفظ القرآن في الكاتيب المنتشرة في كل مكان و تحت كل الظروف، حيث كانوا يحاولون التوفيق بين المدرسة الرسمية الفرنسية و بين تحفيظ القرآن، فيذهبون إلى المدرسة القرآنية في الصباح الباكر ثم يتوجهون إلى المدرسة الرسمية الفرنسية طوال النهار أما أيام العطل المدرسية فيقضونها في مدارس حفظ القرآن.²

و نتيجة الامتناع عن إرسال أبنائهم إلى المدارس طرد أغلب الجزائريين من أراضيهم، أو خسروا أموالهم و في مطلع القرن العشرين برز زعماء جزائريون تزعموا هذه الحركة التي ستفتح في شكل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.³

¹ رابح تركي، أصول التربية و التعليم، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982، ص296.

² نفسه، ص296.

³ عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1940) دار الشباب، ط1، بيروت لبنان، 1999م، ص30.

و قد تحفظ الجزائريون من التعليم الفرنسي، و ذلك لرفضهم السياسة التعليمية الفرنسية، الهادفة إلى القضاء على المقومات الشخصية، و قبلوه كوسيلة لحل مشاكلهم فوعي الجزائريين بضرورة العلم لنيل الحقوق و المساواة و الاستقلال ملاحقاً دفعهم بتوجيه أبنائهم إلى المدارس الفرنسية أو العربية. لكن موقف الجزائريين من التعليم الرسمي الاستعماري هو الرفض لأنهم كانوا يتخوفون من الدسائس الاستعمارية حفاظاً على هويتهم العربية الإسلامية، و ليس كرهاً في حب التعلم الذي يعتبرونه فرضاً على كل مسلم و مسلمة¹ لذلك كان الجزائريون يحترسون و يحذرون من التعليم الفرنسي خاصة عندما منع التعليم القرآني، و أهملت اللغة العربية و إلى جانب هذه الدوافع لرفض المدرسة الفرنسية، كانت الظروف الاجتماعية و الاقتصادية التي فرضها الاستعمار جعلها في هذا الموقف الوطني².

مما لا شك فيه اعتراض الجزائريين على تعليم الفرنسية كان واضحاً منذ الاحتلال، بل نجد أن ردود الفعل الوطنية، المتمثلة في المقاومات الشعبية التي رفضت شعار الجهاد و محاربة الكفار، قد اعتبرت أن الوجود الفرنسي ضربة صليبية ضد الإسلام و المعتقدات الدينية و لذلك لا غرابة أن نجد العائلة الجزائرية رفضت إرسال أبنائها للمدرسة الفرنسية خوفاً منها على أن يترك هؤلاء الأطفال دينهم و يكتسبون مبادئ جديدة تراها غريبة و دخيلة على معتقداتهم المألوفة³.

¹ عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، مرجع سابق، ص 119 .

² نفسه، ص 120.

³ أحمد مريوش، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، ج1، ط4، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013، ص 64.

2/ انعكاسات السياسة التعليمية الفرنسية على الجزائريين:

ترك الاحتلال الفرنسي للجزائر آثار و انعكاسات سلبية و إيجابية أثرت على الحياة الثقافية و التعليمية، إلى أن هذا الأخير آنذاك، خاصة ما بين 1880م-1900م.

أ/ الإنعكاسات السلبية:

بدأ الغزو الفكري و الاستلاب الثقافي في الجزائر منذ بداية الغزو الفرنسي في النصف الأول من القرن التاسع عشر و استمر طوال فترة الاحتلال¹ و كانت بداية هذا الغزو بتدمير المؤسسات التعليمية و الثقافية و توقيف نشاط الزوايا و المساجد و المدارس، فقد انتهك الفرنسيين مقدسات الجزائريين²، و في هذا الصدد يذكر البرلمان الفرنسي توكفيل في تقرير له سنة 1888م " لقد استولينا في كل مكان على هذه الأموال أموال المؤسسات الخيرية التي غرضها سد حاجات الإحسان و التعليم العام... و تركنا المدارس تتدثر و يعثرنا الحلقات الدراسية و توقف رجال الدين و القانون و هذا يعني أننا جعلنا المجتمع الجزائري أشد بؤسا و أكثر حملا و أشد همجية بكثير مما كان عليه قبل أن يعرفنا³.

تمكن الاستعمار الفرنسي من إدخال النظرة الدنيوية أو العلمانية على المجتمع الجزائري وفق للأفكار اللاتئة، و لجأ أيضاً إلى التفكيك التدريجي للمؤسسات الثقافية بإستلائه على أراضي الحبوس و استبدالها بالنظام الثقافي الفرنسي الغربي بهدف فرض السيطرة و الهيمنة الثقافية⁴، الرامية إلى طمس مآثر الشعب الجزائري و أمجاده عبر التاريخ بنكران وجوده لذاته، و منازعته في حقه في أن يكون له تاريخ و ماضي مثل أي شعب، و ذلك بتقديم

¹ عبد الله ركيبي، عروبة الفكر و الثقافة أولاً...، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص6.

² عبد العزيز فيلاي، عبد الحميد بن باديس، ج1، دار الهدى للجزائر، 2013، ص10.

³ قويدر بشار، المساجد العثمانية في وهران و معسكر، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، جامعة الجزائر، 1985، ص115.

⁴ المرجع نفسه، ص156.

الأدلة و الحجج العلمية على انعدام هذه المقومات¹. و من بينها اللغة العربية* التي تعتبر إحدى المقومات الأساسية للمجتمع الجزائري، حيث عمل الاحتلال الفرنسي على محاربتها بكل الوسائل و الطرق بل و اعتبرها لغة فارغة من محتواها النفعي، لذلك عملت الإدارة الاستعمارية على القضاء على تعليم اللغة الفصيحة، و كذا اللهجات* المحلية الشفهية التي يتكلمها أغلب الطبقات الشعبية² كما قامت بتقسيم اللغة العربية في الجزائر إلى أقسام اللغة القديمة أو الجامدة و اللغة العامية و هي عاجزة عن ترجمة العواطف و الأفكار العلمية الفلسفية و أيضا اللغة الحديثة و هي لغة أجنبية عن الجزائر و هي اللغة الفرنسية³، ما جعل اللغة العربية تتراجع إلى المؤخرة و إلى هوامش الحياة فاسحة المجال للغة المستعمرين⁴ كما جعلت فرنسا من اللغة العربية لغة أجنبية في عقر دارها قانون في أمة عربية تعد بالملايين و ما يبين ذلك فرنسا أسماء المدن و القرى و بعض المؤسسات التعليمية التي كانت موجودة بالجزائر، و بهذا الفعل كانت فرنسا تهدف من ورائه إلى محو اللغة العربية لأنها لسان الإسلام و بالتالي في نظرها ستقضي على عروبة المجتمع⁵ الجزائري و ذلك بالتركيز على عنصر الشباب حيث كان يتم تعليم الطفل الجزائري لغتين في وقت واحد.

¹ جمال فنان، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، دراسات في المقاومة و الإستعمار، م4، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص 21.

* هي الوسيلة التي تمكن الإنسان من أن يتجاوز و جوده البدني و المادي إلى وجوده الفكري و هي التي تنقل له الأفكار الأجيال السابقة و تراثهم.

* جمع مقوده، لهجة بفتح الهاء و سكونها معا و لكن السكون أفصح، و عبارة عن إعادة الناطقة التي تكيف مقاطع صوت امرئ ما و التي تتكون عنده تحت تأثير العوامل الوراثية و الفيزيولوجية.

² عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1981، ص153.

³ المرجع نفسه، ص153.

⁴ حاتم رشيد، الأزمة الجزائرية إلى أين؟، مركز الأردن الجديد للدراسات، عمان 1988، ص20.

⁵ رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث الشخصية الإسلامية العربية في الجزائر، مرجع سابق، ص84.

ما يجعله يفقد قوة إدراكه و معاناته من مشكلة ازدواجية الفهم لأن اللغتين العربية و الفرنسية تختلفان في القواعد و النطق و بالتالي يخرج الطفل ضعيفاً.¹

وعليه انتشرت سياسة التجهيل بين أواسط الجزائريين ففي المرحلة الابتدائية كان يزاول منهم سوي 19% فقط أما الباقون فقد حكم عليهم بالتشرد و كان سواء أعظم منهم يعملون كمساحي أحذية أو حمالين أو بائعين متجولين، أما الذين أسعفهم الحظ بدخول المدارس الفرنسية، فإنهم يتعلمون بمدارس خاصة بهم إلا أنها غير لائقة مقارنة مع أبناء الأوربيين الذين في سن التعليم الابتدائي إذ كانوا يتلقون تعليمهم في مدارس راقية على يد معلمين مقتدرين و أكفاء² و قد أدى هذا التمييز بين أبناء الجزائريين و الأوربيين إلى انتشار الأمية في الجزائر إذ يقول فرحات عباس* في هذا الصدد "... لَمَّا كُنَّا نطالب بفتح المدارس لأبنائنا كان جوابهم لنا أننا لسنا أهلاً لها لأننا قوم لا نقبل لا التربية و لا التعليم"³.

وعلى غرار سياسة التجهيل التي نتجت عن السياسة التعليمية الفرنسية بالجزائر كان هناك أيضاً أثر آخر لها تمثل في قطع أواصر الثقافة الجزائرية و حرمان المجتمع الجزائري من كل تبادل علمي مع الأقطار المجاورة خاصة الأقطار العربية.

كما فرض حصاراً صارماً على عبور الصحف و المجلات و سائر المطبوعات العربية إلى الجزائر إلا أن هذا لم يمنع من ظهور طبقات من المثقفين و هنا نتحدث بصفة خاصة على تلك التي تخرجت من المدارس الفرنسية و انسلخت عن شعبها و أصبحت تؤيد

¹ عبد الكريم غلاب، التعريب واقعه و مستقبله في المغرب العربي، مجلة الأصالة، م 6، ع 17، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، تلمسان. 2011، ص 78.

² رابح تركي، التعليم القومي و الشخصية الجزائرية، مرجع سابق، 2011، ص 78.

* ولد في 24 أوت 1899، نشأ وسط العوز و الحرمان و كتب يقول: "نعم إنني من سلالة فلاحية و إن كان أبي و إخوتي موظفي لقد ترعرعت في وسط فلاح، درس في المدرسة الفلاحية للأهالي بالطاهير سنة 1909 م، و هو من الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر".

³ محمد الميلي، وضع العربية خلال العهد الإستعماري، مجلة اللغة العربية من المحنة الكولونالية إلى إشراقة الثورة التحريرية، ص 68.

الوجود الفرنسي بالجزائر و ثقافته¹ و هذا الأخير أدى إلى تراجع الثقافة الجزائرية في شتى المجالات.

وعلى غرار ما سبق من الانعكاسات نجد أن الشعب الجزائري قد واجه أحد أهم عواقب التعليم أو السياسة التعليمية الفرنسية ألا و هي قضية التعريب، نتيجة السياسة الفرنسية و التنصير التي طبقتها الاحتلال على الشعب الجزائري للقضاء على الهوية الوطنية.²

كما سعت فرنسا إلى التخفي و راء ما أسمته رفع مستوى الأهالي، كما سعت إلى بناء المدارس و فتح أبوابها لتعليم الجزائريين في كافة ربوعها، و إنما هذا الأخير فقط لخدمة مصالحها الشخصية رفعت راية التعليم للتلويح بعلم التبشير المسيحي و هذا ما عملت على تطبيقه خاصة بجنوب الجزائر كالأغواط، تمنراست، الهقار،..... إلخ.³

ب/ الإنعكاسات الإيجابية:

على غرار الإنعكاسات السلبية التي كانت قد تركها التعليم المسلط على الجزائريين كانت هناك بعض الإنعكاسات الإيجابية من بينها:

عرفت الجزائر قبل الاحتلال حركة ثقافية و تعليمية شملت مختلف المؤسسات كالكليات و المساجد و الزوايا، بحيث حاولت فرنسا تحقيق هدفها المتمثل في التمكين للثقافة الفرنسية من التواجد في الجزائر ثم لبقية المناطق التي إحتلتها و تكوين نخبة مفرنسة أي نخبة جزائرية مفرنسة.

¹ محمد الملي، مرجع سابق، ص 90.

² أحمد طالب الإبراهيمي التعريبي و الثورة و الثقافة العربية مجلة الأصالة، العدد 17، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، تلمسان، 2011، ص 35.

³ نفسه، ص 37.

ج/ تكوين نخبة مثقفة (جمعية.ع.م):

التي برزت مع نهاية القرن التاسع عشر و تكونت في المدارس الثانوية و غيرها من المعاهد الفرنسية¹، حيث هذه النخبة نشأت على هامش مجتمعين متناقضين، المجتمع الفرنسي الذي يرفضهم لعدم توفرهم على الشروط اللازمة ليكونوا كالأشخاص الفرنسي في دينه و عاداته و أخلاقه و المجتمع الجزائري الذي يعاني ويلات الاحتلال المختلفة² من بينها غلق المعابر الثقافية بين الجزائريين و الدول العربية الإسلامية ما اضطر هؤلاء إلى الانتقال و لو بصعوبة إلى المراكز الثقافية المجاورة كجامع الزيتونة و الأزهر لإتمام دراستهم³ مثل محمد بن رحال ولد بندرومة 17 ماي 1857م و هو وجه سياسي و ثقافي برز في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، حيث قال جول فيري فيه "أنه وجه معبر و مستقل أيضاً، و هو خصم شرس لكل دمج رغم أنه تكون في المدرسة الفرنسية إلا أنه مدافع بليغ عن العرب و الإسلام"⁴. كما أنه تولى دور المدافع عن المجتمع الجزائري المستعمر مع السلطة الإستعمارية لأنه كان من أوائل الجزائريين المشهورين بالثقافة المزدوجة⁵.

بالإضافة إلى المثقفين الجزائريين برز العديد من الشعراء و الذين عبّروا عن آلام و آمال الجزائريين بالكلمة المنطوقة و المعبرة من خلال تسجيل المعارك بكل أحداثها و إنتصاراتها و بطولات رجالها في كل منطقة من التراب الوطني⁶ كما أن هذا الشعر كان يتخمن أبيات تعبر عن الشكوى و الحرمان بطريقة ساخرة أحيانا و إنه صافي من تأثير

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ط 4، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص92.

² محمد العربي الزبييري، أفكار جارحة في السياسة و الثقافة و التاريخ دار الحكمة، الجزائر، سنة 2014، ص 101.

³ مصطفى ماضي، النخبة و المسألة اللغوية في الجزائر من القطبية اللغوية إلى الإنتقاد و التهميش باللغة، دار القصة، الجزائر، 2007، ص 49.

⁴ عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث دراسة سيولوجية، ط 3، دار الحداثة، الجزائر، 1983، ص 53.

⁵ المرجع نفسه، ص 61.

⁶ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1854، ج 8، دار العرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص 307.

الثقافة الفرنسية ما دفع هذه الأخيرة إلى محاربة المداحين و القوالين و كذا مراقبة نشاطهم لأنهم يعبرون من خلاله عن روح المقاومة الجزائرية¹ و من بين طائفة الشعراء التي لعبت دوراً في إثارة الحماس في نفوس أفراد المجتمع عبد القادر الوهراني الذي كان يتمتع بثقافة و ثروة عقارية كبيرة، كان شاهداً على دخول الفرنسيين ما جعله يؤلف أرجوزة بعنوان "دخول الفرنسيين" ثم حثّ المسلمين على التوبة و الرجوع إلى تعاليم الدين الإسلامي بالعلم و المعرفة و الجهاد.

2/ الصحافة:

لقد ساهمت النهضة العربية الإسلامية في تكوين العديد من الكتاب و المحررين الجزائريين الذين عملوا في الصحف و الجرائد التي أنشأتها الإدارة الاستعمارية بالجزائر للإعلان عن القوانين و المراسيم هذا الأمر استفاد منه الجزائريين إذ قاموا بتأسيس بعض الجرائد و الصحف رغم إنتشار الأمية و الجهل و الاضطهاد² و كذا القوانين التعسفية التي حرمتهم من امتلاكها إلا أنها ساهمت في إطلاعهم على الأحداث المحيطة بهم³.

إضافة إلى تبلور الوعي الثقافي لدى الأفراد المجتمع خاصة بعد فشل المقاومة الشعبية بالتصدي للعدو الفرنسي لها ذلك ما جعل الصحافة ظاهرة جديدة في تاريخ الجزائر المستعمرة و من بين تلك الصحف نذكر بعضها:

1/ جريدة الحق:

أصدرت بمدينة عنابة سنة 1893م و هي أول تجربة و طنية يديرها و يحررها مسلمون جزائريون، عملت هذه الجريدة على كشف مخططات اليهود ضد الجزائريين إلا أنها أغلقت

¹ أبو القاسم سعد الله ، ج8، مرجع سابق، ص 301.

² عواطف عبد الرحمان، الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 25.

³ نفسه، ص 26.

لمعارضة السلطات الإدارية عليها¹، و مع ذلك أصدرت مرة أخرى من وهران تحت اسم جريدة الحق الوهراني في سنة 1911م عن طريق محررها الفرنسي الذي يدعى "تابي" الذي اعتنق الإسلام و أخلص له، تكلمت هذه الصحيفة باسم المسلمين الجزائريين لتترك لهم الحرية الدينية و احترام تقاليدهم²، و من أجل الدفاع عن حقوقهم و حماية الشخصية الوطنية الجزائرية بقولها " إن المواطن الأصلي هو عربي و لن يكون فرنسياً"، إضافة إلى ذلك نجد أنها كتبت عن نوايا المبشرين المسيحيين ضد الإسلام ما جعلها تخاطب السلطات الاستعمارية قائلةً: "لا تحاولوا أن تعطوا لأولادنا شعورا مسبقا عن حضارتكم التي اعتبرناها منذ زمن بعيد أدنى من حضارتنا"³، ما شجع بعض الكتاب للكتابة بقلمهم فيها و من بينهم عمر راسم حيث صرح من خلالها قائلاً: " نعم نحن أنصار تطور تقليدي نتمسك بطريقتنا في العيش و نريد الحفاظ على عاداتنا و تقاليدنا و تحسينها في آن واحد"⁴ و ذلك دليل على دعوته للحفاظ على الشخصية الوطنية و التمسك بها، كما أن هذه الصحيفة دافعت عن التعليم و العمل على نشره حتى و لو كان في المخيمات التي تتوفر على أبسط الضروريات لأن التعليم يكون جيلا متقفاً⁵.

ب/ صحيفة المصباح:

تأسست في 3 جوان 1904م بوهران من طرف "العربي فخار" تحت شعار "من أجل فرنسا بواسطة العرب و من أجل العرب بواسطة فرنسا" فقد كان هدفها جعل الصحيفة همزة وصل بين الشعب الجزائري و فرنسا، إهتمت هذه الصحيفة بالتعليم و الثقافة بهدف إحداث

¹ شارل روبر آجرون، الجزائريون المسلمون و فرنسا، ج 2، مرجع سابق، ص 711.

² جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2009، ص 258.

³ نفسه، ص 135.

⁴ عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث دراسة سوسبولوجية، ط 03، دار الحداثة، الجزائر، 1983، ص 68.

⁵ عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث، تر: فيصل عباس، مر: خليل أحمد خليل، دار الحداثة، بيروت، د ت، ص 63.

نهضة في المجتمع الجزائري والدفاع عن الإسلام وبفعل ما جاءت به هذه الصحيفة نجد أن فرنسا قد دعت إلى تطوير التعليم قدر المستطاع لأنه أداة للسعادة وباب للمستقبل.¹

ج/ جريدة الفاروق:

تأسست على يد عمر بن قذور سنة 1912م والذي دعى إلى الوحدة المغربية² فقد تأثر مؤسسها بمضمون جريدة المنار لرشيد رضا، إن هذه الجريدة إصلاحية إسلامية هدفها لاهتمام بقضايا المسلمين العرب³، حيث كتب صاحبها في إحدى مقالاته أن المسلمين كأمة و الجزائريين كأفراد لن يعبدوا سالف مجدهم ولن تتحسن أحوالهم إلا إذا رجعوا إلى القرآن الكريم، يحكمونه في جميع أمورهم وبه يقاومون كل الانحرافات وهذا دليل على دعوته إلى مقاومة سياسة التصير.⁴

د/ جريدة ذو الفقار:

أسسها عمر راسم سنة 1913م وهو أول صحفي جزائري يرفع القلم داعيا إلى الإصلاح الديني بحماس وجرأة، كان المطلب الوحيد لراسم هو التعليم باللغة العربية عن طريق المدارس التي يشيدها الأهالي بأموالهم الخاصة غير معتمدة على المدارس الفرنسية والكتاتيب التي أنشأها شارل جونا، كما أنه إتهم الجزائريين بأنهم السبب في تراجع اللغة العربية لأنهم إستكفوا على أن يعلموا أبنائهم لغة دخيلة (الفرنسية)، فدعى إلى الإهتمام باللغة

¹ شارل روبر آجرون، مرجع سابق، ص 712.

² محمد بوطيبي، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية القومية ما بين 1900-1930، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة، 2012، ص 170.

³ محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها و تطورها، ألامها من 1903-1931، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978، ص 91.

⁴ نفسه، ص 101.

العربية لأنها الوعاء الحامل لهويتنا وتراثنا¹، فهي أساس وحدتنا وعماد تفكيرنا، إضافة إلى ذلك نجده يندد بالإنحلال والتفسخ الذي مس الشعب الجزائري الذي أصبح متفرنسا ما جعله يقع في وحل الخوف وإرهاق ودخوله في ركن الكسل والخمول والتوكل²، عرفت هذه الجريدة معارضتها الشديدة للمدارس الفرنسية المختلفة والتي تسعى إلى طمس الهوية الوطنية والثقافية العربية لإسلامية في الجزائر فقد كان محررها يعبر عن رأيه و موقفه من خلال الرسومات التي كان ينشرها في الصفحة الأولى للجريدة ليحث على المحافظة على المقومات الوطنية.³

- الجمعيات والنوادي:

إلى جانب الصحافة ظهرت الجمعيات والنوادي العلمية بالجزائر المستعمرة مع مطلع القرن العشرين للإلحاق بركب العلم حيث عمل عدد من المثقفين الشباب على نشر الوعي في صفوف الجزائريين عن طريقها⁴ ومن بين هذه الجمعيات و النوادي نذكر منها:

أ/ الجمعية الراشدية:

تأسست عام 1839م بالعاصمة ومع مرور الوقت تطورت هذه الجمعية إلى أن أصبحت تصدر نشرة خاصة بأعضائها باللغة العربية والفرنسية وهي أول نشرة عربية صدرت من طرف الجزائريين كما أنها نظمت مجموعة من النشاطات ومحاضرات حول

¹ عبد القادر فضيل، اللغة العربية و معركة الهوية في الجزائر، تق: العربي ولد خليفة، جسر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013، ص45.

² عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصرة للفترة الأولى 1920-1936، ج 02، المؤسسة الوطنية للكتابة، الجزائر، 1984، ص16.

³ أحميدة عميراي، مواقف نضالية و إصلاحية، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 107.

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج5، مرجع سابق، ص 375.

مواضيع مختلفة كان من بينها التعليم للسيد فتاح بالغة العربية وكذلك لإسلام واللغات الأجنبية.¹

ب/ الجمعية التوفيقية :

تأسست سنة 1908م إنضم لها مجموعة من المثقفين، قامت هذه الجمعية بمجموعة من المحاضرات ذات المواضيع المختلفة لنتقيف الجزائريين أنفسهم وتطوير الأفكار العلمية والاجتماعية شعارها "السعي نحو تحقيق التطور لجميع الجزائريين الراغبين في إرتقاء الفكري والاجتماعي".²

ج/ نادي صالح باي "قسنطينة":

تأسس هذا النادي بدوره لتقديم خدمات جلية للثقافة العربية والمثقفين الجزائريين وإحياء الفنون و الصناعة الخاصة بالجزائريين وكذا توفير مراكز ثقافية لمحاربة الجهل و التذكير بمنافع العلم³، ومن أبرز أعضاء هذا النادي مولود بن الموهوب، كان من العلماء الصالحين و الواعظين قضى حياته في خدمة العربية والدين الإسلامي وكان بدوره يلقي محاضرات في النادي مركزا على منافع العلم ومنندا بخطر الجهل إذ كان يقول "ليحيا العلم وحاميه وليميت الجهل".⁴

¹ عواطف عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 28.

² نفسه، ص 29.

³ شارل روبيير آجرون، المرجع السابق، ص 110.

⁴ أحمد صاري، الجمعيات و النوادي الثقافية بالجزائر، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع 9، دار البعث، الجزائر، 2001، ص 189.

(3) ردود الأفعال على النشاط التنصيري في الجنوب:

(1) مقاومة سياسة التنصير:

إن التحدي الذي أبداه الغزاة الفرنسيين للجزائريين قد تولدت عنده ردود فعل مختلفة من دينية وعسكرية، تمثلت في المقاومة الوطنية بدافع قوي من وازع الجهاد ضد المسيحي الكافر.¹

حيث أن فرنسا جعلت أعرق صفة في الأمة الجزائرية و أعمقها، وهي المقاومة والعناد فرغم ما فعلته فرنسا بالمساجد التي حولتها إلى كنائس، والبعض منها إلى إسطبلات وغيرها من الجرائم، لكن فاتهم أن الذين فعلوه أمام طبيعة عناد الجزائريين وصلابة المقاومة في أصول أخلاقهم، إنما هو عامل تثبيت لذلك الإسلام في نفوسهم² وذلك ما قد حصل بالفعل وهكذا تحدوا الجزائريين كل القوانين التي سنتها فرنسا ضدهم، فمارسوا الإسلام في بيوتهم سرا و في شوارعهم علنا، وقد بلغ الأمر بهم أن دخلوا السجون، وسيقوا إلى المعتقلات ودفعوا الغرامات لأجل مخالفتهم لتلك القوانين المحاربة للدين الإسلامي.³

أما موقف الجزائريين من ذوبهم الذين غرو بهم المنصرون فتنصروا فقد تمثل في إتباعهم نظاما خاصا في معاملتهم، وذلك بالتضامن القوي الذي يربط أفراد المجتمع الجزائري، وهذا ما أفسد على المنصرين مخططاتهم التنصيرية، كما كان المنتصر الجزائري يتعرض للنذب و المقاطعة الجماعية من قبل أهله و ذويه ومن يقول أحمد توفيق المدني "يعتبر المتجنس أو المتمسح في نظر السكان إنسانا مارقا وخارجا عن الدين".⁴

¹ فرحات عباس، ليل الإستعمار، دار القصبية للنشر و التوزيع، الجزائر، 2005، ص 63.

² الفضيل الورثي، الجزائر الثائرة، ط 4، دار الهدى، عين مليلة، 2009، ص 101.

³ نفسه، ص 102.

⁴ أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 2، مكتبة النهضة، الجزائر، 1963، ص 61.

1/ موقف أهل الجنوب الصحراوي من التنصير:

لقد قضى الفرنسيون مدة طويلة في الجزائر جنوب الصحراء يبحثون على تنصير أهلها باستخدام أساليب إغرائية كثيرة ومتنوعة .

إن الراهب الجاسوس شارل دي فوكو قد مضى عمره يجري وراء سراب صحراء الهقار إلى أن قضى أجله بها، و الملفت للانتباه هو أن شارل دي فوكو رغم تصريحاته العديدة بفشله في تنصير أهل الهقار، إلا أنه يأبى الإستسلام¹ حيث سجل الملاحظات و التقويمات لتخطيط طريق صحراء ومراكزها الهامة² ونراه يعمل بتنسيق مع ضباط الجيش وبعض الكتاب الإستعماريين على تشجيع الهجرة إلى الصحراء، والترويج لها مشيدين بتلال الرمال التي تحوي أجود عناصر الذهب، مشككين في رسوخ سيمات التوارق وتعلقهم بإنتمائهم الحضاري، لكن آمال دي فوكو و أصحابه باءت بالفشل وخير ما يدحضها هو:

- تمسك التوارق بعقيدتهم السمحة وأدائهم بجميع الشعائر الإسلامية كاملة، مع عدم تسجيل أي حالة من الحالات الردة أو دخول المسيحية.
- إعترازه باللغة العربية التي يتكلمونها وحفظ القرآن الكريم.
- إدعاءات دي فوكو و أتباعه لا تعدوا أن تكون مجرد محاولة لطمأنة المستعمرين حتى يواصلوا التنصير و التزوير لأنهم لو عرفوا الحقيقة لثببت عزائمهم.

و من مظاهر الرفض التي أبداها سكان الجنوب نجد ثورة الشريف محمد بن عبد النور 1852-1861م و هي مقاومة دينية قامت تحت الغطاء الديني و السياسي للحركة السنوسية، حيث بدأ نشاطه في منطقة توقرت ورقلة التي عسكر فيها، و هناك إنظم إليه الكثير من سكان الجنوب حيث قاوموا الفرنسيين في هذه المنطقة، عندما شد الفرنسيون

¹ عبد السلام بوشارب، الهقار أمجاد و أنجاد، م و ن 01، الجزائر، 1995، ص 122.

² عبد القادر الخلفي، سياسة التنصير في الجزائر، مجلة المصادر، العدد 09، اصدار المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نومبر 1954، ص 132.

قواتهم على مدينة الأغواط، و تم مطاردة الشيخ محمد بن عبد الله إلى تونس ليتم إعتقاله و توفته المنية سنة 1895 م، بعد ما عاش حياة مليئة بالكفاح و النضال، بعد أن ظهرت مقاومات كثيرة في المنطقة و التي تبنتها الحركة السنوسية المجاهدة.¹

2/ دور الحركة السنوسية في المقاومة:

تعتبر مسألة المساس بالدين الإسلامي، خاصة محاولة تنصير الجزائريين من أهم المحاولات التي برزت ضد المقاومة المسلحة، بعدما تفتن الجزائريون لأبعاد السياسة التنصيرية التي وضعت لها الإدارة الإستعمارية مجموعة من المنصرين مهمتهم إخراج الجزائريين المسلمين من دينهم² بعد إحتلال مناطق الجنوب الجزائري للقوات الفرنسية في أواخر القرن 19، ظهرت إثرها المقاومات الشعبية و كانت للطرق الصوفية* الدور الريادي في هذه الثورات التي حملت لواء الجهاد ضد سياسة الإستعمار الفرنسي الرامي إلى طمس الهوية الإسلامية للجزائريين، و من أهم هذه الطرق الصوفية التي وقفت في وجه السياسة التنصيرية الفرنسية هي الحركة السنوسية فهي حركة عمل و ليست حركة جمود، حيث أنها تملك طابع جهادي ضد الدول الإستعمارية، و كان لثباتها الدعوة في نشر الإسلام في إفريقيا الوسطى، للوثنية الدور الكبير في عرقلة الإستعمار، إلى جانب هذه الطريقة عرفت أكثر بتنظيمها المحكم، و كان لها جيش و نظام إداري معين.

و بعد إحتلال مناطق الجنوب الجزائري و خاصة الهقار و الطاسيلي قامت الطريقة السنوسية بتجنيد إخوانها في محاربة الإستعمار ذكر منها:

➤ مقاومة الشريف "محمد بن عبد الله"، و مقاومة السلطان محمود جانيت 1915م.

➤ مقاومة سيدي محمد العابدي في الطاسيلي 1916م.

¹ عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص 123.

² محفوظ قداش، إنتفاضة 1871 و مقاومة الشعب بحركة الإيمان، مجلة الأصالة، العدد 02، الجزائر، 1971، ص 16.

* الطريقة الصوفية: هي طريقة سلوكية قوامها الزهد و التخلي عن الرذائل و التخلي بالفضائل.

➤ مقاومة الأمين العقاد هيروم و مقاومة أبوح أغايلي بالهقار أين أغتيل دي فوكو في 1916 م.¹

لقد كان للدعوة السنوسية صيت كبير في الصحراء الجزائرية التي أشار إليها الكثير من زعماء القبائل.²

3/ دور المؤسسات الثقافية في مقاومة التنصير:

لقد قاوم الشعب الجزائري السياسة الفرنسية منذ بداية الإحتلال و كان سبيله إلى ذلك هو الرفض الكامل لكل ما تأتي به الإدارة الفرنسية و بعد المقاومة المسلحة برزت المقاومة الثقافية، و التي كان وراء تفعيلها الزوايا و الكتاتيب القرآنية و المساجد و هي البنية الأساسية للتعليم، حيث إزدادت تعاليم هذا الدين إنتشارا يوما بعد يوم بفضل الدور الريادي الذي لعبته الزوايا لحماية الدين و الدفاع عن عقيدته الخالدة، لذلك لم يفلح المبشرون و لا غيرهم من التأثير على إيمان أهل الجنوب و لا في أفكارهم.³

1- دور الزاوية:

و يمكن إنجلاء الدور الريادي الديني و الثقافي للزوايا خلال القرن التاسع عشر في الجنوب الجزائري على أن الزوايا عملت على نشر الإسلام في المواطن و الأصقاع التي لم يصل إليها خاصة إقليم الصحراء و يظهر هذا من خلال ما فعلته زاوية الطريقة التيجانية و زاوية الطريقة السنوسية حيث وقفت في وجه الفرنسيين و شكلت دعاية مضادة في الحركة التنصيرية التي مدت نفوذها إلى الصحراء الجزائرية، و حاولت القضاء فيها على اللغة

¹ إبراهيم المياسي، التوسع الإستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري (1881-1912)، م و م، الجزائر، 2009، ص 94.

² نفسه، ص 94.

³ عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص 123.

العربية و الثقافة الإسلامية، و زرع الجهل بين السكان لتبرز الزوايا و تكون مثل الحامي و المحافظ على الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية.¹

و من خلال ما سبق يمكن أن نجمل أدوار الزوايا في مجموعة من النقاط:

➤ إهتمت بتحفيظ القرآن و نشره بصورة مكثفة في الأجيال الإسلامية و عممته بين مختلف الطبقات الإجتماعية.

➤ إحتضنت اللغة العربية و الثقافة العربية الإسلامية.

➤ عملت على نشر الإسلام في المواطن و الأصقاع و خاصة المناطق و الأقاليم المحرومة النائية كما فعلت التجانية و السنوسية.

➤ مقاومة الإستعمار الفرنسي و التصير و عملت على حماية الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية بواسطة نشر الدين الإسلامي.²

➤ و نظرا للدور الإيجابي الذي لعبته الزوايا و وقعت حاجزا بين المحاولات الفرنسية و التصير أدت إلى جملة من الإعترافات لأغلب الحكام. توضح قوة الزوايا و منها إعتراف ماكهمون³ حيث يقول مراقبة الزوايا أمر صعب.*

2- دور المساجد:

تعد المساجد من أهم المؤسسات الدينية التي حافظت على مقومات الشعب الجزائري، و كانت مركز للجهاد ضد الإحتلال و بالتالي عمد على الإستيلاء عليها و تحويل أغلبها إلى مرافق و مصالح أخرى و البقية تعرضت إلى الهدم.

¹ عبد العزيز الشهبي، الزوايا و الصوفية و الفرابة و الإحتلال الفرنسي للجزائر، دار الغرب، الجزائر، 2007، ص 49.

² يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا في تاريخ الجزائر و العرب، ج01، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 217.

³ عبد العزيز الشهبي، المرجع السابق، ص 49.

* ماكهمون: سيرهنري مكماهون دبلوماسي بريطاني و ضابط عمل، كمندوب سامي بالجيش الهندي، إشتهر ماكماهن بلوجيستان مفوضي بخط و بالمراسلات.

و في الأخير يمكن القول أن المساجد قد حفظت للأمة الجزائرية هويتها، و بذلك إستطاعت أن تتمسك بدينها و لغتها أي أنها وقفت كحاجز منيع في وجه الجهود الإستعمارية الرامية إلى تدمير الأمة الجزائرية الإسلامية.¹

3- دور المدارس القرآنية (الكتاتيب):

إن المدارس القرآنية كانت منتشرة إنتشارا كبيرا خلال الإحتلال و يعود لها الفضل في المحافظة على القرآن خلال فترة الاحتلال و كان لها دور مهم في نشر اللغة العربية مما جعل الجزائريين يحافظون على لغتهم و لو في صورة بسيطة و متواضعة.²

و بذلك يمكن القول أن الكتاتيب قد ساهمت بشكل كبير في الحفاظ على خصوصيات المجتمع الجزائري من الثقافة الإسلامية إلى اللغة العربية، فقد تكثف نشاط الكتاتيب خلال القرنين 19-20م كأسلوب و وسيلة لمواجهة التنصير و الفرنسية و حماية الشخصية العربية الإسلامية للجزائر أو لمقاومة سياسة التجهيل التي كانت تتبعها السياسة الإستعمارية في الجنوب³ فلقد رفض أهل الصحراء كل أنواع التنصير و قاوموها بكل ما أوتوا من قوة عسكرية أو ثقافية.

¹ مولود قاسم نايت بالقاسم، المسجد جامع و جامعة، مجلة الأصالاة العدد 46-47، وزارة التعليم الأهلي و الشؤون الدينية، الجزائر، 1977، ص 04.

² رابح تركي، التعليم القومي، المرجع السابق، ص 188.

³ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 213.

خاتمة

من خلال العرض و التحليل لموضوع البحث السياسة التعليمية الفرنسية في الصحراء الجزائرية توصلنا إلى جملة من النتائج التي يمكن إستخلاصها على النحو التالي:

➤ تعتبر السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر نوع من الغزو الفكري الذي يعمل على إستمرار و توسع الإستعمار لأن فرنسا رأت من الضروري الإعتماد على التعليم، هو الضمان الوحيد للسيطرة على الجزائر عامة و الصحراء خاصة.

➤ لقد حاول الإستعمار إيجاد بديل للتعليم الجزائري و هو التعليم الفرنسي، و كانت نسبة الأطفال الجزائريين الذين إلتحقوا بالمدارس الفرنسية قليلا بالإضافة إلى محدودية و ضعف البرامج و الوسائل، حيث ركزت المدرسة الإستعمارية على البرامج التعليمية التي تعمل على بلبله أفكار الجزائريين و تشكيكهم في عروبتهم و إسلامهم، فوسعت و زادت من نشاطها التعليمي من خلال إنشاء المدارس الفرنسية في الجنوب الجزائري في كل من ورقلة الأغواط بسكرة واد سوف.

➤ إن التعليم في الزوايا و المساجد و الكتاتيب كان البديل الوحيد الذي وقف في وجه سياسة التجهيل الفرنسية و هو شكل من أشكال التعبير عن الذات فبقدر ما كانت المدرسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية بعيدة كل البعد عن الشعب و معاديا لمطامحه و متكررة لواقعه، كانت المدرسة التقليدية ملتسقة بالشعب و نابعة من إحساسه بتمايزه عن المستعمر ورغبته في إحتفاظه بإنتمائه العربي الإسلامي، و نجد هطا النوع من التعليم منتشر في بعض مناطق الجنوب الجزائري كالمدرسة التيندوفية و مساجد في توات التي كانت تؤدي أدوارا هامة ثقافية و إجتماعية.

➤ لجأت السلطات الإستعمارية إلى نوع آخر من التعليم هو التعليم التصيري الذي لم يقتصر على الشمال الجزائري فقط بل إمتد إلى الصحراء الجزائرية حيث تضاعفت جهود الكنيسة لتعليم الجزائريين المسيحية محاولة في ذلك إضعاف الإسلام، و من بين

الشخصيات التي كان لها الدور الكبير للترويج لهذا النوع من التعليم شارل دي فوكو، و هذا الأخير شخصية إستعمارية مزدوجة الأدوار، فهو من المنصرين الفرنسيين الذين إضطلعوا بدور كبير في دعم و خدمة الإحتلال العسكري الفرنسي.

كان للسياسة التعليمية الفرنسية في الصحراء الجزائرية ردود فعل مختلفة، حيث رد أهالي الجنوب الجزائري على سياسة الإستعمار بمقاطعته للثقافة الفرنسية و مؤسساتها، التعليمية المسيحية و إعتبرها البعض إستمرارا للحروب الصليبية و تثبيت الوجود الفرنسي بالجزائر لأنها كانت تهدف إلى فرنسا و تنصير الجزائريين و إبعادهم عن هويتهم العربية الإسلامية.

ملاحق

الملحق رقم (01): خريطة تضاريس صحراء الجزائر.¹



¹ عميرواي أحمد، مرجع سابق، ص 151.

الملحق رقم (02): خريطة توزيع الإرساليات التنصيرية في الجنوب الصحراوي الجزائري.¹



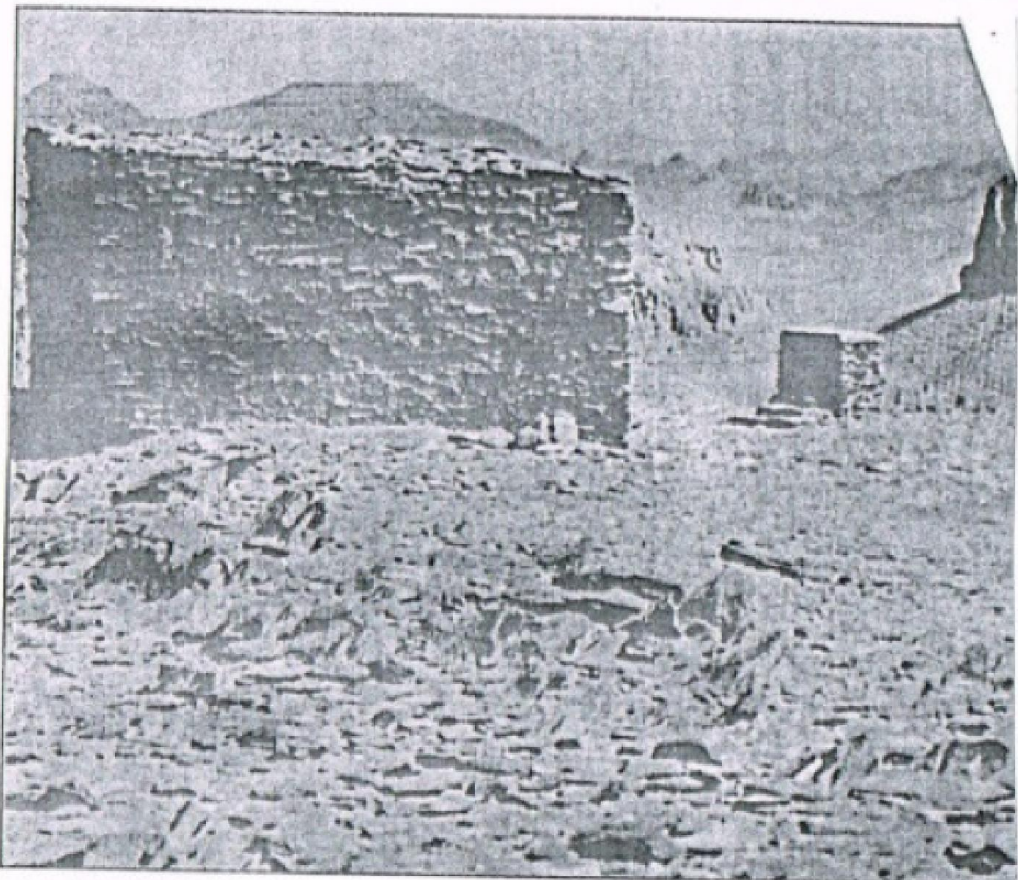
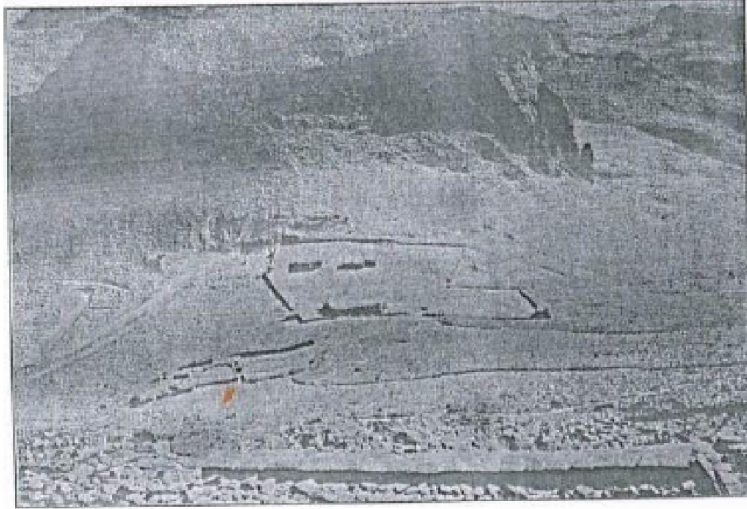
¹ خديجة بقطاش، مرجع سابق، ص 101.

الملحق رقم (03): صورة الراهب و الجاسوس شارل دي فوكو.¹



¹ عبد السلام بوشارب، مرجع سابق، ص 118.

الملحق رقم (04): ملجأ دي فوكو في منطقة أسكرام.¹



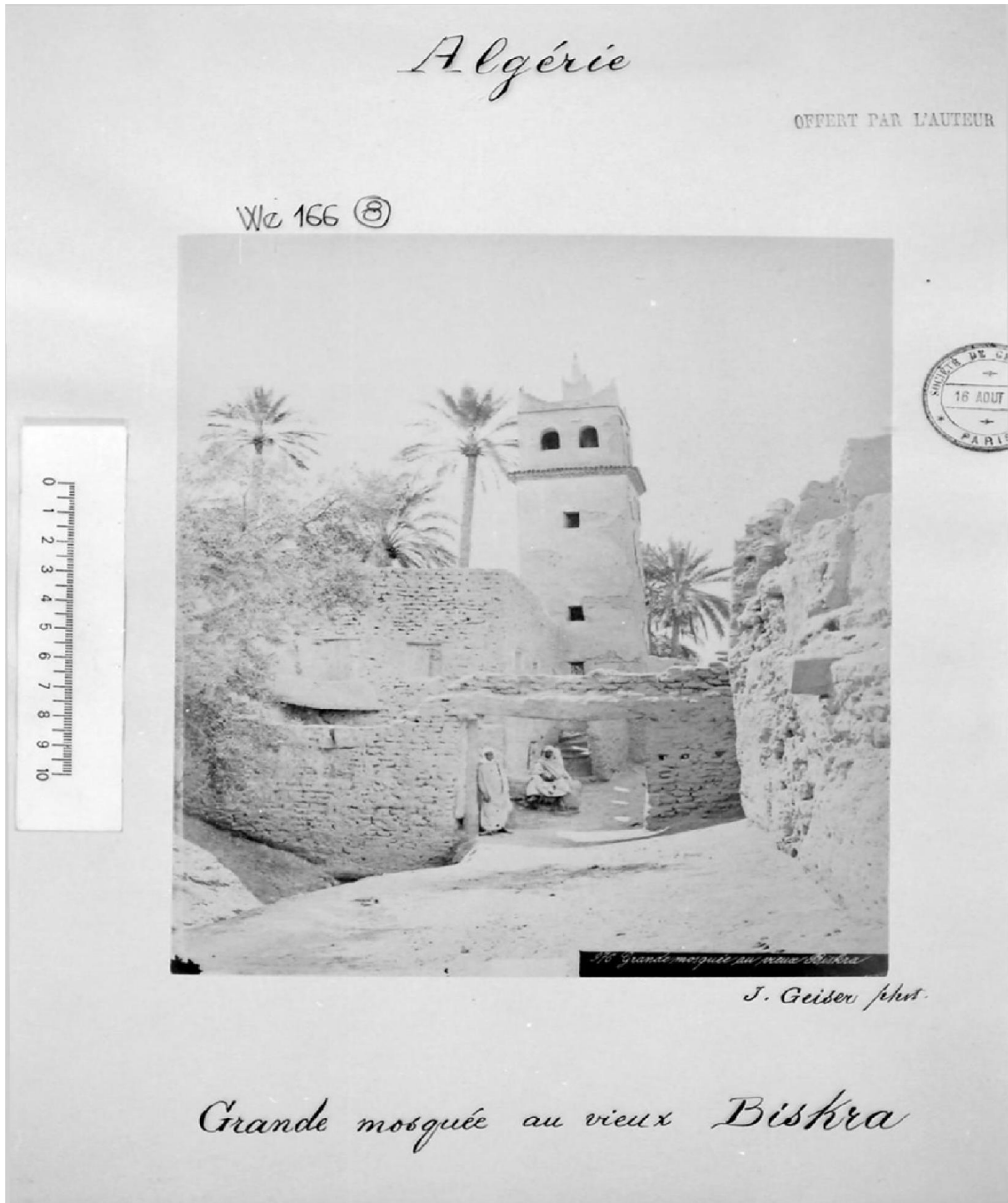
¹ عبد السلام بوشارب، مرجع سابق، ص 118.

الملحق رقم (05): صورة الجنرال لابرين.¹



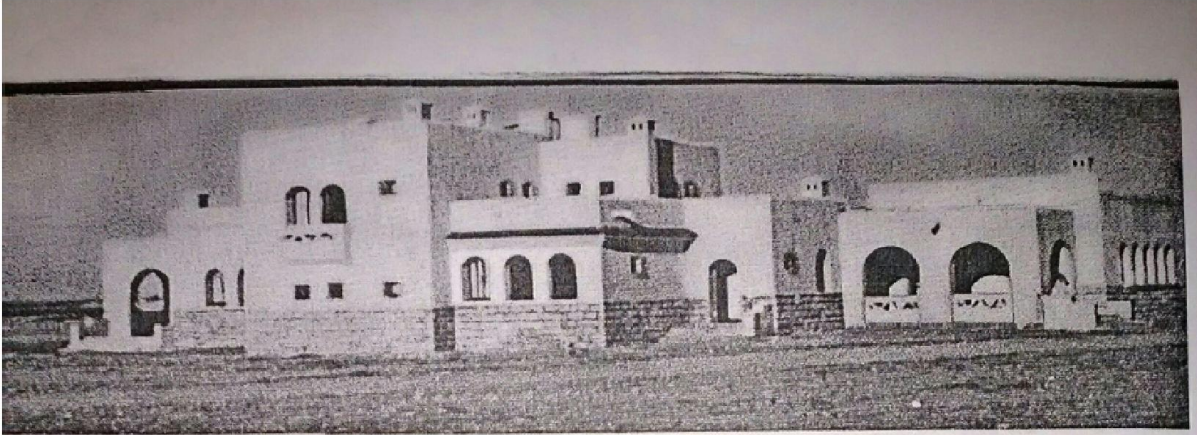
¹ إبراهيم المياسي، التوسع الفرنسي...، مرجع سابق، ص 230.

الملحق رقم (05): صورة المسجد الكبير بسكرة 1892.¹

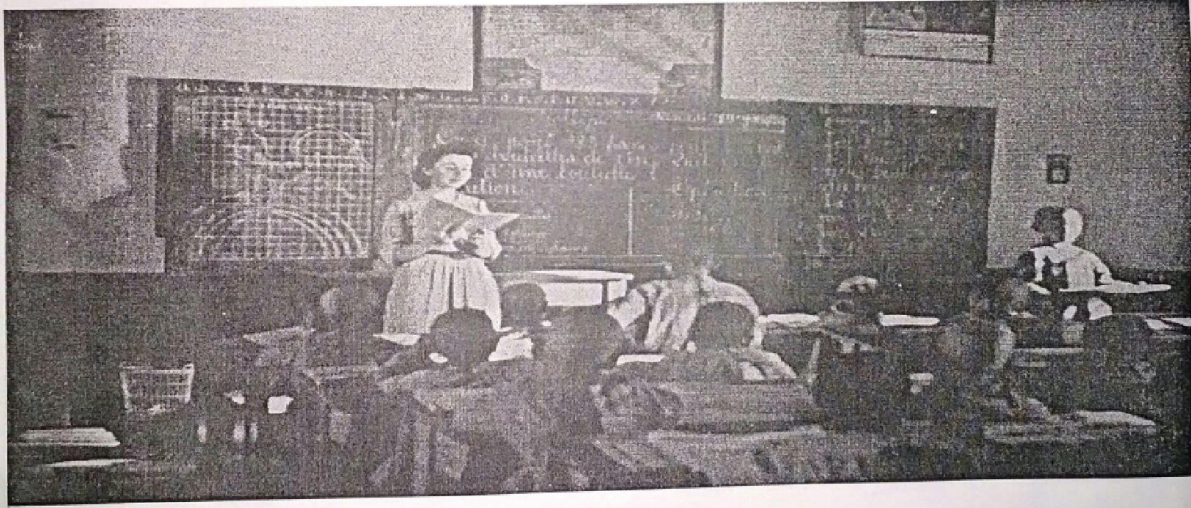


¹ Jean Geiser, photographe d'alger, 1892, N° PHOTO , We, 166/08

الملحق رقم (06): التعليم الفرنسي في الجنوب الجزائري.¹



École de Ksar-El-Hirane (Sud).



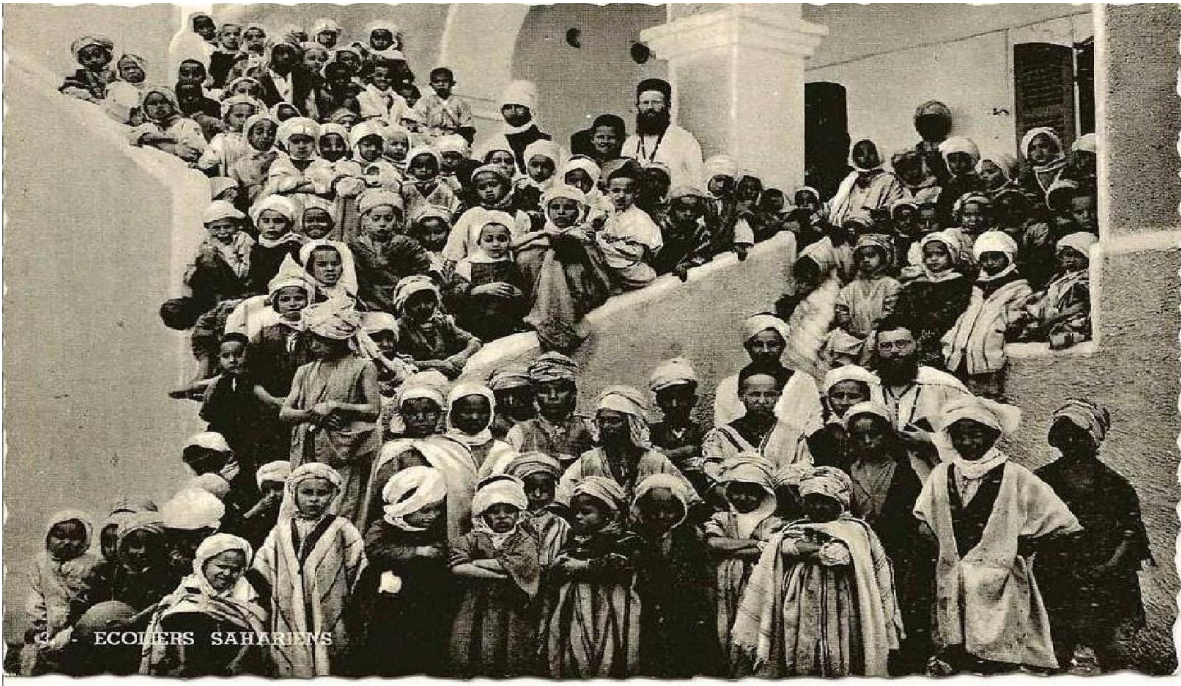
Classe dans le Sud.

¹ بن داود أحمد، المقاومة الثقافية....، مرجع سابق، ص 234

الملحق رقم (07): منزل مهمة ميزاب، غرداية المبنى على ربوة "تيضفت" بجنبه المدرسة.



مدرسة الآباء المنصرين من داخل منزل تيضفت.¹



¹ حتى محفوظ، الإرساليات التنصيرية في الصحراء، مرجع سابق، ص 135.

قائمة البيليوغرافيا

قائمة المصادر و المراجع:

1/ المصادر:

- القرآن الكريم

1. ابن باديس عبد الحميد، آثار ابن باديس، ج4، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر.
2. ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، ج 8، المؤسسة المصرية العامة، مصر.
3. أجرون شارل روبير، الجزائريون المسلمون و فرنسا، ج1، ج 2، دار الرائد، الجزائر، 2007.
4. أجرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصر، تر: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982.
5. الأغواطي الحاج ابن الدين، تر: أبو القاسم سعد الله، مجموعة رحلات رحلة الحاج بن الدين الأغواطي في شمال إفريقيا و السودان و الدرعية، دار المعرفة الدولية للنشر، تلمسان، 2011.
6. البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج، ت، أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، 1900-1929، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م.
7. عباس فرحات، ليل الإستعمار، دار القصة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2005.
8. العقون عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصرة 1936-1946، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
9. العوامر إبراهيم محمد الساسي، تعليق الجيلاني بن إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء و سوف، ط 2، الدرا التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1977.
10. المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، ج2، مكتبة النهضة، الجزائر، 1988.
11. الميلي محمد، شيخ مبارك الميلي حياته العلمية و نضاله الوطني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2011.
12. الورتلاني الفضيل، الجزائر الثائرة، ط 4، دار الهدى، عين مليلة، 2009.

2/ المراجع:

1. إبراهيم لونيبي، بحوث في تاريخ الجزائر الإجتماعي و الثقافي للجزائر إبان الإحتلال الفرنسي، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر، 2013.
2. الأشرف مصطفى، الجزائر أمة و مجتمع، تر: حناني بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
3. أأارو عبد الرزاق عبد المجيد، التصير في إفريقيا، إدارة العامة للثقافة و النشر، مكة المكرمة، 2008م.
4. أمريوش أحمد، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، ج1، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013.
5. بريفي (غي)، النخبة الجزائرية الفرانكفونية، تر: جاح مسعود و آخرون، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
6. بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871)، مطبوعات دحلب، الجزائر، 1992.
7. بن حنيفة الميداني عبد الرحمان، أجنة المكر الثلاث و حوافيها التبشير و الإستشراق و الإستعمار، دار العلم، ط2، سوريا، 2000.
8. بوشارب عبد السلام، الهقار أمجاد و أنجاد، م و ن/ الجزائر، 1995.
9. بوطيبي محمد، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900-1930م، دار الهدى للطباعة و النشر، عين مليلة، 2012.
10. بوعبدلي المهدي، تاريخ المدن، ج1، عبد الرحمان دوبي، ط1، عالم العالم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013.
11. بوعزيز يحي، سياسة التسلط الإستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007.
12. بوعزيز يحي، من تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

13. بوعزيزي يحي، موضوعات و قضايا في تاريخ الجزائر و العرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009.
14. تركي رابح: أصول التربية و التعليم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1975.
15. تركي رابح: التعليم القومي و الشخصية الوطنية، 1931-1956، ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981.
16. تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفة و جهوده في التربية و التعليم، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1981.
17. تيران إيفون، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، تر: عبد الكريم أوزغلة، دار القصة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007.
18. جغلول عبد القادر، تاريخ الجزائر الحديث، دار الحداثة، الجزائر، 1983.
19. جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الإستعمار (1830-1944)، منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية، ثورة أول نوفمبر، مطبوعات هومة، الجزائر، 2007.
20. جمال قنان، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، الجزائر، منشورا المتحف الوطني للمجاهد، 1994.
21. جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية في ق 19، 1830-1914، ط01، الجزائر، 1993.
22. الجندي أنور، العالم الإسلامي و الإستعمار السياسي و الإجتماعي و الثقافي، دار الكتاب اللبناني، ط2، لبنان، 1983.
23. حاتم رشيد، الأزمة الجزائرية إلى أين، مركز الأردن الجديد للدراسات، عمان 1988.
24. الحاج السعيد يوسف بن كبير، تاريخ بني ميزاب (دراسة إجتماعية و إقتصادية و سياسية) غرداية، المطبعة العربية، 1992.
25. حلوش عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2000.

26. حمدان نذير، الغزو الفكري، المفهوم، الوسائل، المجالات، ج1، مكتبة الصديق، د ب، د ت.
27. الخالدي مصطفى، عمر فروخ، التبشير و الإستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية، الطبعة الخامسة، لبنان، 1973.
28. دوني بيلي، معالم لتاريخ ورقلة (1872-1992)، تر: علي إيدير، ط2، 1995.
29. الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الفكر، (د ط) (د ت).
30. ركيبي عبد الله، عروبة الفكر و الثقافة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
31. الزيري محمد العربي، أفكار جارحة في السياسة و الثقافة و التاريخ، دار الحكمة، الجزائر، 2014.
32. زرهوني طاهر، التعليم في الجزائر قبل و بعد الإستقلال، موقم للنشر، الجزائر، 1994.
33. زروقة عبد الرشيد، جهاد ابن باديس ضد الإستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1944)، دار الشهاب، ط1، بيروت، لبنان، 1999م.
34. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية، 1830-1900، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.
35. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية، 1830-1900، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.
36. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الصائر، الجزائر، 2007.
37. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، دار الصائر، الجزائر، 2007.
38. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، دار الصائر، الجزائر، 2007.
39. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار الصائر، الجزائر، 2007.
40. سعيدوني نصر الدين، الجزائر منطلقات و آفاق، مقارنة للواقع الجزائري من خلال قضايا تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000.
41. سعدي مزيان، النشاط التنصيري للكرنيال لافيغري في الجزائر (1867-1892)، دار الشروق، الجزائر، 2008.

42. شريط عبد الله، من واقع الثقافة الجزائرية، ط 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.
43. الشهبي محمد عبد العزيز، الزوايا و الصوفية و العزابة و الإحتلال الفرنسي للجزائر، دار الغرب، الجزائر، 2007.
44. صاري جيلالي، دور البيئة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012.
45. صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر 1830-1925، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2010.
46. صالح محمد عثمان، النصرانية و التنصير، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، 1989م.
47. عبد الرحمان عواطف، الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية بصحافة الثورة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
48. عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر الطبيعية بشرية إقتصادية، ط1، 1968.
49. عبد الله ركيبي، عروبة الفكر و الثقافة أولا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
50. العربي إسماعيل (الصحراء الكبرى و شواطئها)، الجزائر، م.و.ك، 1983.
51. عزوي محمد الطاهر، الغزو الثقافي و الفكري للعالم الإسلامي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1999.
52. العسكر عبد العزيز بن براهيم، التنصير في الخليج العربي، الدار العربية للموسوعات، المملكة العربية السعودية، 2007.
53. العقاد صالح، المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، القاهرة، 1960.
54. العقبي صالح مؤيد، الطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر تاريخها و نشاطها، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002.
55. علالي محمود، الحركة الإصلاحية في الأغواط (1916-1988) الصندوق الوطني لترقية الفنون و الآداب، الجزائر، 2008.
56. عمار هلال، أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

57. عميرايي أحميدة و آخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.
58. عميرايي أحميدة، مواقف نضالية و إصلاحية، دار الهدى، الجزائر، 2009.
59. غارودي روجي، حول الحضارات، منشورات عويدات، 1970.
60. غنايزية علي، مجتمع وادي سوف، من الإحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882-1954، دار الهومة، الجزائر.
61. فضيل عبد القادر، اللغة العربية و معركة الهوية في الجزائر، تلا: العربي ولد خليفة، جسور للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013.
62. فيلاي عبد العزيز، عبد الحميد بن باديس، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2013.
63. قداش محفوظ و صاري الجيلالي، الجزائر صمود و مقاومة (1830-1962)، تر: أوزاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012.
64. الكحلوت عبد العزيز، التصير و الإستعمار في إفريقيا السوداء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط2، ليبيا، 1982.
65. ماضي مصطفى، النخبة و المسألة اللغوية في الجزائر من القطعة اللغوية إلى الإنتقاء و التهميش باللغة، دار القصبية، الجزائر، 2007.
66. محفوظ السماتي، الأمة الجزائرية نشأتها و تطورها، تلا: محمد الصغير بناني و عبد العزيز بوشعيب، دار دحلب، الجزائر، 2007.
67. محمد بن عبد الكريم الجزائري، الدعوة الإسلامية و الإستعمار، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1989.
68. المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956.
69. مصطفى الزايد، التنمية الإجتماعية و نظام التعليم الرسمي في الجزائر (1962-1980)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
70. المياسي إبراهيم، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، الجزائر، دار هومة، 2005.

71. ناصر محمد، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها و تطورها من 1903-1931، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978.
72. وعلي محمد الطاهر، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830-1904، منشورات دار دحلب، الجزائر، 2009.
73. يحيى مرابط مسعودة، المجتمع المسلم و الجماعات الأوربية في الجزائر القرن العشرين حقائق و إيدولوجيات، مجلد الأول، تر: محمد العراجي، دار الهومة، الجزائر، 2010.

3/ باللغة الأجنبية:

1. Ahmed Ghouati, ecole et imaginaries dans l'algerie colonial procures et temoignage.
2. Ahmed Mahses, le mouvement Revolutionaries en Algeria de la 1^{er} ghere mondiale a 1954, editions l'harmaltan, paris, 1979.
3. Bernard Paul, l'enseignement primaries des indigenes en Algeria monde muscleman, November 1906.
4. Coppolani Xavier et octave depot, les confreres religieux musulmanes.
5. Elion Gaston guedj, l'enseignant lindigene en Algeria au course de la colonisation (1832-1962) edition des Ecrivains, Paris, France, 2000.
6. Journart (M.C), exposé de la situation general de l'algerie, l'imprimeur du government general alder, 1906.
7. Louis rinn, marabouts et khouans , etude sur l'islomen en Algeria adolphe jourdan, alger.
8. Marie andrie, l'ermite du gra,d desert, le père de Foucault imprimerie fournir, Toulouse, 1973.

9. Mostafa lacheraf, Algeria nation et society, SNED Alger, 1978.
10. René Bazin, charles de Foucoud (explorateur maroc ermite de sahara) libraire plan, nount, Imp,éd, Paris, 1921.

4/ المجلات و الدوريات:

1. الإبراهيمي أحمد طالب، التعريب و الثورة، مجلة الأصالة، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، تلمسان، ع 17، 2001.
2. حباسي الشاوش، من مظاهر الروح الصليبية للإستعمار الفرنسي بالجزائر (1830-1962)، مجلة الدراسات التاريخية، ع 10، الجزائر، 1997.
3. مولود قاسم نايت بلقاسم، المسجد جامع و جامعة، مجلة الأصالة، ع 46-47، وزارة التعليم الأهلي و الشؤون الدينية، الجزائر.
4. قداش محفوظ، إنتفاضة 1871، مقاومة شعب بحركة الإيمان، مجلة الأصالة، ع 2، الجزائر، 1971.
5. حواوسة جمال، أساليب و وسائل التنصير في المؤسسات التعليمية الجزائرية، مقاربة سوسيو تاريخية، مجلة العلوم الإجتماعية و الإنسانية، ع 14، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، الجزائر، 2018.
6. مقدود البشير، التعليم الفرنسي بمنطقة واد سوف خلال العهد الإستعماري بين الرفض و التأثير، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، مجلة دورية دولية محكمة، ع 4، جامعة حمة لخضر، الوادي.
7. صالح بوسليم، مؤسسة الزوايا في إقليم توات خلال القرنين 18-19 بين الإشعاع العلمي و الإنتشار الصوفي، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات جامعة غرداية، 2010.

8. مجاود محمد، دور الزوايا في الحركة الوطنية و الثورة التحريرية، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ، ع 5، معهد العلوم الإجتماعية و الإنسانية جامعة معسكر، أفريل 2008.
9. مرغيت محمد، سياسة التنصير و دورها في المخطط الإستعماري الفرنسي المجلة التاريخية الجزائرية، ع4، جامعة أدرار، سبتمبر 2017.
10. بشار قويدر، المساجد العثمانية في وهران و معسكر، مجلة الدراسات التاريخية، ع 1، جامعة الجزائر، 1985.
11. الرايس حسين، بعد جذور الإشكالية الثقافية حاليا بالمغرب العربي، ع 30.
12. أبو عمران الشيخ، شارل دوفوكو في تمنراست 1905-1916، مجلة الثقافة، ع 76، 1983.
13. بلحسين أرحوي سسيا، وضعية التعليم الجزائري غداة الإحتلال الفرنسي، مجلة الدراسات النفسية و التربوية، ع 7، جامعة تيزي وزو، 2016.
14. التميمي عبد الجليل، دور المبشرين في نشر المسيحية في تونس (1830-1881).
15. صاري احمد، الجمعيات و النوادي الثقافية في الجزائر، مجلة الأمير عبد القادر سوم الإسلامية، ع 9، دار البحث، الجزائر، 2001.
16. غلاب عبد الكريم، التعريب واقعه و مستقبله في المغرب العربي، مجلة الأصالة، المجلد 6، ع17، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، تلمسان، 2011.
17. الزاهري محمد السعيد، ألف و سبعمائة مسلم يرتدون عن دينهم و يعتنقون النصرانية الكاثوليكية، مجلة الشهاب، ع 103، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
18. الزاهري محمد سعيد، إلى أين الأغواط، مجلة الشهاب، ع 103، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
19. الملي محمد، وضع العربية خلال العهد الإستعماري، مجلة اللغة العربية المحنة الكولونيلية إلى إشراقة الثورة التحريرية.

20. خليفي عبد القادر، سياسة التصير في الجزائر، مجلة المصادر، ع 9، 1954.
21. عفيف البوني، إشكالية التعريب في المغرب العربي، مجلة الشؤون العربية، ع 30.

5/ أعمال الملتقيات و المحاضرات:

1. عميرواي أحميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، دار الهدى، ط2، الجزائر.
2. إبراهيم المياسي، دور الزوايا في نشر التعليم الأصلي، الملتقى الوطني الأول حول دور الزوايا إبان المقاومة و الثورة التحريرية، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر، 1954، جامعة السانبا وهران، يومي 25-26 ماي 2005، منشورات وزارة المجاهدين، 2007.

6/ الرسائل الجامعية:

1. العموري عبد المجيد، الحياة الثقافية و الفكرية في الجزائر (1880-1914)، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2017.
2. العوني نور الدين، التعليم العربي في الجزائر ما بين 1830-1900، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 1984-1985.
3. الحاج محمد الحاج إبراهيم، المؤسسة التصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية القرن 19م (مزاب و أهقار)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة قسنطينة 2، 2011/2012.
4. بن داود أحمد، المقاومة الثقافية للإستعمار الفرنسي في كل من الجزائر و المغرب من خلال التعليم (1920-1954)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة أحمد بن بلة وهران، 2016/2017.

5. حنى محفوظ، الإرساليات التصيرية في الصحراء الجزائرية -غرداية نموذجاً- (1876-1916)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة غرداية، 2014/2013.
6. المالكي إبراهيم ابن مسعود، النشاط التصيري في منطقة الخليج العربي أهدافه و أبعاده، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في العقيدة جامعة أم القرى، 1429هـ.
7. قوبع عبد القادر، الحركة الإصلاحية في منطقة الزيبان وواد الميزاب، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة يوسف بن خدة، 2008/2007.
8. عليوان سعيد، التصير موقفه من النهضة الحضارية في الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2001/2000.

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
	كلمة شكر
	إهداء
	قائمة المختصرات
أ	مقدمة
المدخل التمهيدي: واقع التعليم الفرنسي في الجزائر قبل 1880م	
06	لمحة عن الإطار الجغرافي و البشري للصحراء الجزائرية
07	مفهوم السياسة التعليمية الفرنسية
08	مفهوم التعليم
09	طبيعة السياسة التعليمية الفرنسية
10	وضعية السياسة التعليمية الفرنسية
18	بداية الإهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية
الفصل الأول: السياسة التعليمية الفرنسية في الصحراء الجزائرية	
22	1. مفهوم السياسة التعليمية الفرنسية
25	2. التعليم العربي الإسلامي في الجنوب الصحراوي
25	أ- الكتابات
26	ب- المدارس
27	ج- المساجد
28	د- الزوايا
35	3. التعليم الفرنسي في الجنوب الجزائري
48	4. أهداف السياسة التعليمية الفرنسية
الفصل الثاني: التعليم التنصيري في الصحراء الجزائرية 1880-1914	
61	1. مدخل مفاهيمي للتنصير و التبشير
61	أ- مفهوم التنصير
62	ب- مفهوم التبشير

63	ج- العلاقة بين التنصير و التبشير
65	د- أهداف التنصير و التبشير
66	2. وضعية التعليم التنصيري في الصحراء
72	3. المؤسسة التنصيرية في واد ميزاب
81	4. التعليم التنصيري في أهقار (دي فوكو)
الفصل الثالث: نتائج و إنعكاسات السياسة التعليمية الفرنسية	
94	1. النتائج
96	2. الإنعكاسات
96	أ- السلبية
99	ب- الإيجابية
106	3. موقف أهالي الجنوب الصحراوي من التنصير
106	أ- مقاومة سياسية التنصير
108	ب- دور الحركة السنوسية في المقاومة
109	ج- دور المؤسسات الثقافية في محاربة التنصير
113	خاتمة
الملاحق	
قائمة المصادر و المراجع	